أكثر الروايات مبيعاً فى العالم

أجاثا كريستى



مكتبة النافذة

الفصل الأول

الآن بدأت نهايتي.. كثيرا ما ترامت إلى اذني تلك العبارة. وهي على عكس العبارة التي تقول في نهايتي بدايتي، وهي جملة فلسفية قد تعني شيئاً عقائدياً عند اهل الإسلام الذين يؤمنون بأن في دنو أجلهم بداية حياتهم الأبدية بل كان الفراعنة في بلاد مصر النيل يعتقدون ذلك ايضا.

وانا الآن استعيد عبارات اهل الإسلام ولكن بمعتقدات دنيوية لا دينية كما يعتنقون، فقد قرأت اليوم إعلان لبيع قصر الأبراج على واجهة أحد المطاعم المشهورة اقصد مطعم "جورج ودراجون". وهي ابراج عريقة شاسعة المساحة، وقد تزينت صورها على جدار المطعم فبدت رائعة جميلة رغم عمرها الزمني الطويل.

كنت اثناء ذلك اخطو في شوارع المدينة اينما تقودني خطواتي دون قصد او هدف وقد وجدتني في الشارع الرئيسي لمدينة كنجستون بيشوب. سألت نفسي لماذا جئت إلى هنا ؟ اهي لعبة من العاب القدر ؟ وهل الحظ سوف يبتسم لي اخيرا؟ ما يدريني لعل ترجلي إلى هنا بداية نهايتي.. ربما.. ربما يكون ذلك واتمنى ان يكون ذلك. فقد كنت احلم ببناء بيت جميل على اعلى طراز يشار له بالبنان .. بيت يضم معي فتاة احبها وتحبني اقضي معها فيه ما تبقى لي من عمر.. إذن ها هي الفرصة قد لاحت واتت وجاءت لي على ركبتيها وينبغي لي ان التقطها وانتهزها.

وها هي ليللي التي اراها تقف بين الأشجار في أراضي الغجر. نعم اراضي الغجر وحري بي ان ابدأ قصتي من هنا .. من هذه اللحظة .. من هذا المكان الذي وجدت فيه رجلاً كان مشغولاً في تهذيب بعض النباتات وقد سألته

ما شكل هذا البيت المعروف "بقصر الأبراج"

وفى غير اهتمام اجابنى الرجل .. إننا لم نعد نعرفه بهذا الاسم فهو اسم على غير مسمى الآن .. واستطرد الرجل يقول فى ضيق .. إن اصحابه هم الذين كانوا يطلقون عليه هذا الاسم اما نحن فلا؟ وبادرت اساله مرة اخرى .. وماذا تطلقون عليه الآن يا سيدى؟ واستدار الرجل الجلف بعيدا عنى كعادة اهل الريف وهو يقول :

- إننا نسمى هذا القصر هنا باراضى الغجر .

- ولماذا اطلقتم عليه هذا الاسم الغريب ؟

- إن لهذا الأمر قصة لا ادرى بدايتها فالبعض يردد حكاية والآخر يذكر عكسها ولكنى استطيع ان اذكر لك ان الحوادث تقع دائماً فى هذا المكان .

- اتعنى حوادث سيارات ..؟!

- كلا .. بل جميع انواع الحوادث .. وخاصة السيارات فهذا مكان مقرز كما ترى .

- حسناً .. فما دام هذا المكان مشئوما حقا، فإننى اتفهم لماذا تقع فيه حوادث كثيرة .

- إن المجلس القروى هنا وضع لافتات إرشادية للمواطنين لمنع وقوع الحوادث ورغم ذلك فإن الحوادث تقع هنا كل يوم .

- ولكن لماذا الغجر بالذات ..؟!

اجاب فى هدوء متظاهرا بعدم الاكتراث .. هذه قصة اخرى .. فقد كانت هذه الأراضى ملكاً للغجر فيما سبق ولكن السلطات القديمة ابعدتها عنها بقوة السلاح فصب الغجر لعناتهم عليها .

وضحكت بصوت عالى حتى وكاننى اسخر مما يقول وقد بدت على وجهه ملامح الاشمئزاز مما اصنع وراح يؤكد لى قوله فى حزم .

- اضحك ما شئت لكن عليك ان تعرف ان هناك مناطق اصابتها اللعنة فعلاً .. وانتم يا اهل المدن لا تؤمنون بذلك فصدقنى يا ولدى فإن هناك اماكن ملعونة، كما ان هناك اماكن مباركة وبعض الناس لقوا مصرعهم هنا فى هذا المحجر اثناء قيامهم باستخراج احجار البناء .. هل تعرف أن جوردى العجوز وقع فى الحفرة بعد ان زلت قدماه؟

- ولكن لعله كان مخمورا..

- ربما .. فقد كان بالفعل مدمناً للخمور .. لكن هناك مخمورون كثيرون يقعون ولا يصيبهم مكروهاً، واما جوردى فقد لقى حتفه على الفور، والتفت ناحية الهضبة التى تظللت بالأشجار، وهو يشير بيديه هناك فى اراضى الغجر .

اظن ان القصة بدات من هنا، وإن كنت لم التفت لكلمات هذا الرجل وقد سالت الرجل هل لا يزال هناك بعض الغجر؟ فاكد لى ان قليل منهم هو الذى بقى فى هذا المكان والبوليس يتربص بهم دائما واذكر انى سالته لماذا يكره الناس الغجر ..؟!

- اعتقد أن ذلك مرجعه أن الغجر هم عصابات إجرامية من اللصوص

وكان غريباً أن يتفحص وجهى فى لحظات قصيرة وهو يقول فى ثقة

- اعتقد يا بنى ان دماء الغجر تجرى فى عروقك .

- انا لا اظن ذلك وإن كنت ابدو للناس كما لو كنت حقا من احد ابناء الغجر ولا ادرى لماذا سعدت بكلمات الرجل وقد حدثت نفسى هل صحيح أن دماء الغجر تسرى فى دمائى ؟ الغريب اننى احببت ذلك ولم ابغضه، لماذا؟ انا لا اعرف ..

واستأذنت بالانصراف وتركت الرجل يستكمل تهذيب النباتات وقد سلكت طريقاً منحنياً يصل إلى خارج المدينة حتى بلغت قمة التل ووقفت عليها فرأيت البحر والسفن وكأنها لوحة رسمها فنان منذ ثوان وتحدثت لنفسى قائلا ، "ماذا لو اصبحت أراضى الغجر ملكا لى ..؟!" أعرف أنه هاجس سخيف ولكن ما يمنعنى من أن أحلم كما يحلم غيرى . وعدت أدراجى من نفس الطريق فوجدت الرجل لا يزال يعمل فى الحقل وقد بادر بالقول ناحيتى :

- إذا أردت أن تتحدث مع بعض الغجر فإن مسز لى تقيم هناك فى كوخ منحه لها الميجور .

فسألته.. ومن يكون هذا الميجور؟

فرمقنى بنظرة تدل على جهلى وهو يقول متعجبا .

- الميجور فيليبوت طبعا.

فادركت بالطبع أن الميجور فيليبوت هذا هو إله القرية وولى نعمتها ويبدو أنه يعيش هو وأسرته فى هذه المنطقة منذ أمد بعيد وأنهم يعملون على توفير أسباب الراحة والعيش لهذه القرية الفقيرة .

وانصرفت بعد أن حييت الرجل العجوز قاصدا كوخ مسز لى وقد قال الرجل بصوت عال غليظ كعادة أهل الريف .

- مسز لى تقيم فى آخر كوخ عند آخر الشارع وإذا لم تجدها فى الكوخ فهى فى الشارع حيث إن دماء الغجر تجرى فى عروقها وهى لا تحب البقاء فى الكوخ .

وانطلقت ناحيتها وأنا أتمنى وأفكر فى أراضى الغجر غير عابئ بما سمعت فإذا بامرأة طويلة القامة ذات شعر كالح السواد تحدق فى وجهى وتعترض طريقى ففهمت أنها مسز لى فتوقفت أمامها سألتها ،

-هل أنت مسز لى ..؟

- نعم، ماذا تريد يا فتى ؟

- علمت أنك تعرفين الكثير عن أراضى الغجر .

نظرت لى من خلال شعرها الأسود الذى تدلت خصلاته على عينيها وهى تقول ،

- وماذا تريد منها ؟ ابتعد عنها .. لا شأن لك بها يا فتى .

- لكنى عرفت أنها معروضة للبيع فى أحد المزادات .

- نعم .. وأن الذى سيقوم بشرائها هو جاهل أحمق .

- ومن يكون هذا الجاهل الأحمق ..؟!

- أشخاص كثيرون يريدون أن يقيموا المبانى فوقها وسوف تباع بثمن ضئيل جدا وسترى .

- ولكن لماذا تباع بثمن بخس يا مسز لى فهى أراضى جميلة ورائعة .

ولم تجب على سؤالى وقد تظاهرت بالملل فى الحديث معى فعدت أسألها .

- لنفترض أن بعضهم اشتراها بثمن بخس فما ذا سيصنع بها .. ؟!

فابتسمت بدهاء الغجر وهى تقول ،

- سوف يهدمون البيت القديم ويعملون على إعادة بناءه من جديد بالطبع وأظن أنهم سوف يبنون بيوتاً كثيرة فوق هذه الأراضى ولكن مهما كان شأنهم فسوف تحل عليهم اللعنة هنا. وتظاهرت بعدم سماعى كلماتها الأخيرة، وأنا أقول ؛

- سيكون ذلك عاراً .. بل عار كبير ..

- لا داعى لأن تتضايق او تقلق فلن يصيب احد أذى إلا الذين سيشترونها فقط كما سيصاب، هؤلاء العمال المساكين الذين سيتعرضون لعواصف ورياح عاتية ستقلع ادواتهم الخشبية والخرسانية وسوف يلقون حتفهم اثناء عملهم سترى يا بنى .. فمن الأفضل الا يقترب منها أحد من الأفضل إيثارا للسلامة .

واومأت براسها فى ثقة وهى تقول:

- سوف يتعرضون لخسارة فادحة فى الأرواح والأموال ولن يربحوا منها شيئاً.

فضحكت فى بلاهة .. حتى انهى لاحظت ضيقها من سلوكى الشاذ فقالت فى حدة وعنف:

- لا تضحك يا فتى فقد تاتى ساعة لا ينفعك فيها الضحك .. صدقنى يا ولدى لا خير فى البيت او فى الأراضى لا خيرا ابدا.

فعدت اسالها فى فضول ..

- ما الذى حدث للبيت يا مسز لى ؟ ولماذا ظل خاليا من السكان كل هذه المدة ؟ ثم .. ثم لماذا تركوه أصحابه هكذا حتى تداعت احجاره ؟

فاجابت فى اسى وحزن :

- إن اصحابه ماتوا جميعاً ..

فسالتها مرة اخرى ..

- ولكن كيف ماتوا ..؟!

- ارى من الخير لك الا تتطرق لهذا الموضوع ثانية فعلى كل حال فإن احدا لم يهتم بالمجيء إلى هنا او الإقامة فيه فصار اطلال وخرابا كما ترى ولقد سقط من ذاكرة الجميع ومن الخير أن ينساه الجميع .

فقلت فى لهفة .

- ولكنك تعرفين كل شىء عنه .. فلماذا تبخلى علىّ باية معلومات حول هذا المكان.

- بصراحة .. انا لا احب ان اتحدث عن أراضى الغجر .

ثم عادت تتحدث بصوت هامس غير مسموع .. فطلبت منها أن ترفع من صوتها حتى اتمكن من سماعها فقالت:

- ارغب فى قراءة طالعك ايها الشاب الوسيم وعليك ان تضع قطعة من النقود الحقيقية فى يدى فأنت احد هؤلاء الذين سيشتهرون فيما بعد .

- فقلت ، الواقع يا مسز لى إننى لا اؤمن بهذه الخرافات ثم إننى لا احمل فى ملابسى اى قطعة من النقود الفضية .

فاقتربت منى كمتسولة وهى تقول ،

- سأقرأ لك حظك بستة سنتات فقط إنه مبلغ ضئيل وضئيل جدا فأنت شاب وسيم طلق اللسان ذكى وقد يكون لك شأن فى يوم ما بل سيكون شأن كبير .

ورضخت لها فأخرجت من جيبى قطعة نقدية بست سنتات ولم يكن رضوخى لها إيماناً بما تقول بل إعجاباً بما تصطنعه من حيلة ودهاء واعطيتها السنتات فخطفتها منى وهى تقول ،

- والآن هات يديك الاثنين .

وخطفت يدى بين اصابعها ونظرت إلى راحتها لحظات وقد تحلت بالصمت عدة دقائق وهى تحدق فيهما ثم دفعت بهما وهى تقول بعد أن تراجعت عدة خطوات إلى الوراء .

- ارى يا ولدى ان تبعد عن هنا والا تعود ابدا .. صدقنى هذه نصيحة مخلصة .. ارجوك استجب لى وارحل من هنا فورا ولا تعد..

- لكن .. لماذا لا اعود ؟

- لأن عودتك ستجلب لك الأحزان والهموم بل والمخاطر سوف تحاصرك من كل جانب .. صدقني ليها الفتى الوسيم ان متاعب سوداء تنتظرك هنا.. ابعد فورا .. ابعد عن هنا .

- ولكن ..

ولم تدعني أتحدث فقد استدارت بوجهها بعيدا عني واعطتني ظهرها وانطلقت إلى كوخها واغلقت بابها بقوة ولكني لا أؤمن بالخرافات وإن كنت شديد الإيمان بالحظ ثم من هذا الذي لا يؤمن بالحظ ولكن شيئا غريبا جعلني لأول مرة أشعر بان هذه المرأة صادقة فيما تقول فيبدو انها قد رأت في راحة يدى شيئا خطيرا وكيف يمكن للمرء قراءة الغيب في أيادي الناس ؟ إن هذا امر مؤلم وسخيف وهو أداة سهلة لابتزاز النقود بكل سذاجة ورفعت بصري إلى عنان السماء فلاحظت أن الشمس قد اختفت وراء الأفق وبدأ اليوم يختلف عما كان منذ قليل فالرهبة تحيط بالمكان وكان هناك عاصفة تستعد لزيارة المكان فها هي الرياح بدأت تتحرك وأوراق الأشجار راحت تهتز والخوف قد تملكني فقصدت الانطلاق إلى القرية.

وعدت أنظر إلى إعلان المزاد ودققت النظر في تاريخ الإعلان صحيح أنني لم أشترك في أي مزاد من قبل لكنني أريد أن أعرف من الذي سيرسى عليه مزاد الأبراج ويصبح مالكا لأراضي الغجر. من هنا بدأت القصة وخطر في بالي هاجس غريب ماذا لو أنني حضرت هذا المزاد وتظاهرت بأنني أحد المنافسين في الشراء .. إن خيبة أملهم في شرائها بثمن ضئيل ستكون كبيرة عليهم .. وماذا لو ذهبت الآن إلى رودلف سانتوبنكس لأطلب منه أن يبني لي هذا القصر فقد اشتريت الموقع الآن فمن المؤكد أنني سوف أجد فتاة عندئذ .. فتاة تكون زوجة لي تعيش معي هنا في سعادة وسرور إلى الأبد.

لقد كانت هذه هي أحلامي منذ صغري وهي أحلام صعبة المنال بالطبع لكنها لذيذة نعم لذيذة .. يا إلهي .. آه .. آه لو أنني أعرف .

الفصل الثاني

ذهبت إلى أراضي الغجر مصادفة دون قصد مني حيث كنت أقود سيارة أجرة ركبها زوجان إلى خارج لندن لحضور أحد المزادات. ولم يكن المزاد مطروحا لبيع أراضي أو عقارات ولكن كان مطروحا فيه بيع مفروشات ومنقولات وأثاث وكان البيت الذي يبيع هذه المنقولات من أكبر البيوت يقع في أطراف المدينة وفي أقذر أماكنها .

أما الزوجان كانا كبيران في السن وقد دار حديثهما عن الأواني المصنوعة من الورق المضغوط وإن كنت لا أعرف معنى الورق المضغوط فلم يسبق لي سماع هذه الكلمات من قبل .. آه .. لقد سمعتها ذات مرة من إحدى جاراتنا فقد قالت لأمي أن الأواني المصنوعة من الورق المضغوط أجود كثيرا من أي أشياء أخرى مصنوعة بورق مضغوط .. ولكن أليس هذا أمرا غريبا أن يرحل زوجان من بلدهما لشراء مجموعة من هذه الأواني . ورحت أبحث وافتش في القواميس عن معنى هذه الكلمة التي دفعت بالزوجين لهذا المكان وهذه عادتي دائما البحث عما لا أعرفه وأسمع عنه .

كنت في الثانية والعشرين من العمر .. وقد تمكنت من جمع معلومات كثيرة عن السيارات كنت ميكانيكيا ماهرا .. وسائقا لا يشق له غبار وأذكر أنني اشتغلت ذات مرة في اصطبلات الخيول وتورطت مع إحدى عصابات المخدرات في أيرلندا ولكنني أدركت خطئي فقطعت علاقاتي بها في الوقت الملائم .. والآن أنا أعمل سائقا في إحدى الشركات الكبرى من شركات سيارات الأجرة وهو عمل لطيف غير شاق .. يمكنني أن أجمع من خلاله ثروة لا بأس بها من الهبات و العطايا .

ثم أذكر أيضا أنني عملت مرة في جمع الثمار في الصيف ولكن بأجر زهيد وإن كنت أحببت ذلك أيضا .. كما عملت ساقيا في أحد فنادق الدرجة الثالثة .. وغطاسا في أحد الشواطئ وكنت مندوبا لإحدى دور النشر لبيع دوائر المعارف ومندوبا لشركات التأمين ومندوبا لشركات

النظافة بل اشتغلت بستانياً ذات مرة وعرفت بعضا من المعلومات عن الأزهار والورود .

هكذا كنت لا استطيع البقاء فى عمل لفترة طويلة فانا لست كسولا بطبعى وإن كنت اصاب بالملل لا اهوى الاستقرار، فانا فضولى احب البحث عما هو جديد فى اى مكان .. نعم انا كذلك .

فمنذ ان تركت الدراسة وانا ابحث عن شىء ما لا اعرف ما هو كنت ابحث عنه فى غموض وبوسائل غير مستحبة ابحث عن شىء كنت أريد معرفته الآن او بعد ذلك هل كنت افتش عن فتاة احبها وتحبنى .. نعم انا احب الفتيات ولكن الغريب اننى لم التق بفتاة تجذب انتباهى وتشد اهتمامى .. كنت اعرف واحدة وانصرف إلى اخرى غيرها .. وانا سعيد فلم أكن قد ارتبطت بعلاقة حب مع اى فتاة .. صحيح استنكر البعض هذه الطريقة واعنى بهؤلاء الذين كانوا يحبوننى ويريدون لى الخير وبالطبع فقد ضايقتهم طريقتى فى الحياة لأنهم لم يفهموننى إطلاقا .. هم يريدون ان ارتبط بفتاة جميلة واحدة واستقر معها وان ادخر بعضا من الأموال للزواج مع استقرارى فى وظيفة دائمة .. وهكذا كانوا يريدون منى أن أكون روتينياً اعتاد على هذا البرنامج اليومى الذى لا يتغير ابدا .. والواقع اننى متمرد على هذا النظام ولا اطيقه .. فنحن نعيش فى عصر الفضائيات والصواريخ والأقمار الصناعية فكيف لى ان اعيش فى ظلها كعقرب الساعة لا ينتهى دورانه.

وانا احب البحث عن كل ما هو جديد فى واجهات المحلات بشوارع لندن خاصة محلات الأحذية الأنيقة وصور الموديلات الرائعة وانا كعادتى احب شراء الملابس الفاخرة بكافة انواعها . وكثيرا ما اذهب إلى متاحف ومعارض فنية تضم لوحات عريقة لمشاهير الفنانين . وان كنت لا أرغب فى اقتناء هذه اللوحات مهما كانت قيمتها الفنية والنقدية ثم لماذا اقتنى لوحة فنية وانا لا افهم ماذا تعنى خاصة هذه اللوحات السريالية الملينة بالخطوط

والألوان التى لا تحمل معانى واضحة للرائين ثم إننى لم اعتد على شراء هذه اللوحات .. ولكن ما المانع فى شراء لوحة فنية مثل هؤلاء الأغنياء المجانين ولماذا لا اكون مجنونا مثلهم ووقع بصرى على احد المعارض الفنية وقصدته متظاهرا بمعرفتى فى اصول هذه اللوحات وفى ادب جم وتواضع شديد احضر لى مدير المعرض لوحة فنية رائعة حدقت فيها مليا وسرحت طويلا وانا اظن ان سعرها لا يتجاوز خمسة وعشرون جنيها، فهذا ما ارى انها تستحقه فهى رائعة وحين سألت صاحب المعرض عن ثمنها بعد ان عزمت على اقتنائها اجابنى فى هدوء وثقة اعتاد عليها فى مثل هذه المواقف ان سعرها خمسة وعشرون الف من الجنيهات، وذكر اسم فنان اجنبى وانها كانت ضمن مقتنيات احد القصور العريقة فى إحدى ضواحى البيوت الريفية وظهرت على وجهى ملامح الدهشة من هول الرقم الذى ذكره الرجل الذى أدرك بفراسته إفلاسى وقلت له إنها حقا رائعة وتستحق ان تباع بهذا الثمن الكبير واجابنى فى ادب شكرته عليه ..

- انت تفهم فى اللوحات الفنية ولديك ذوق عال. واخذها منى ووضعها فى مكانها حيث ادرك مشقتى فى شرائها .. وان كنت قد شعرت ان هذه اللوحة قد جذبتنى بالفعل عن غيرها ولكن ما عساى ان افعل فمن لين لى بهذا المبلغ الضخم.

الفصل الثالث

انا لست بارعاً فى تسجيل احداث حياتى مثل غيرى لعل روايتى لقصة هذه اللوحة لم اكن فى حاجة إلى سردها عليكم ثم اننى لم اذكر شيئاً عن سانتونيكس حتى الآن صحيح هو مهندس معمارى. وقد قابلته اثناء عملى فى شركة سيارات الأجرة وكنت فى ذلك الوقت اقضى زمنا طويلاً مع الأثرياء الذين يرغبون فى السفر والترحال إلى بقاع الدنيا واذكر اننى قد ذهبت مرتين إلى المانيا، ومن خلالها تعلمت قليلا من اللغة الألمانية .

كما ذهبت إلى البرتغال وفرنسا. وكانت أغلب زياراتى من الأثرياء الذين تقدمت بهم السن وحين يختلط المرء مع هؤلاء القوم يدرك على الفور ان المال ليس هو كل شىء فى هذه الدنيا فهم كثيرو الشكوى والصراخ بل ويتعاطون العقاقير والأدوية المهدئة من وقت لآخر للتخلص من متاعبهم النفسية بسبب اعمالهم وتكدس اموالهم .

نعم كان هؤلاء الأثرياء بائيسن حقاً .. من ادارات الجمارك و الضرائب وباقى الدواوين الحكومية التى تلاحقهم وتطاردهم وكانوا يشعرون بالملل والضيق من حياتهم .. وكنت ارى ان حياتهم الجنسية باردة تخلو من الاثارة والدفء فقد تزوجوا من فتيات صغيرات فاتنات جميلات يمتلئن بالحيوية والتشوق الحار إلى ممارسة الجنس مثل أصدقائهم ومنهم من تزوج من امرأة دميمة أحالت حياته إلى جحيم لا يطاق . وهو ما جعلنى أشعر بأننى أسعد الناس لكن عندى رغبة ملحة فى رؤية بلدان العالم .

المهم .. اننى تعودت على ان اقود سيارتى لخدمة رجل طاعن فى السن إلى شواطئ الريفيرا من وقت لآخر . وكان يذهب إلى هناك لمتابعة سير اعمال شركاته وكان سانتونيكس هو المهندس المعمارى الذى يتولى بناء احد بيوته وإن كنت أجهل هوية وجنسية سانتونيكس وإن كنت قد ظننت انه فى بادئ الأمر انه إنجليزى على الرغم من غرابة اسمه. ثم ظننت انه من

اهل اسكندنافيا .. وكان مريضاً صحيح كان شاباً وسيماً جذاباً نحيل الجسد له قسمات وجه غريبة . حاد الطباع كثير الانفعال .. يقولون عنه انه ذئب نمرود لكنه كان عبقرياً واثقاً فى نفسه معتزاً بذكائه .

وقد شاهدت بنفسى مناقشة حامية بينه وبين الرجل العجوز الذى كنت اصطحبه فى سيارتى وجه دارت على هذا النحو بعد ان انفعل العجوز فى المهندس المعمارى المسئول عن بناء بيته .

- إنك لم تنفذ ما ارغب فيه .. وقد انفقت مالاً كثيراً على غير ما توقعت دون ان تنجز شيئاً يستحق النظر إليه .

- فاجابه سانتونيكس .. انت على حق يا سيدى .. ولكن ما فائدة المال إن لم ننفقه فى بناء بيت جميل على احدث طراز .

- المطلوب منك ان تفهم حدود عملك لا شان لك باموالى فانا لن اعطيك بنساً واحداً وسالتزم معك بالاتفاق الذى وقعنا بنوده معاً .

- فقال سانتونيكس .. انا اعرف ماذا تقصد ولذلك فانت لن تتسلم البيت الذى تريده، إن البيت الذى ابنيه هو ما تتمناه، وانا اعرف ماذا اقول وارجوك الا تصدع راسى بدروس الوعظ عن التبذير والبذخ، انت ترغب فى بيت جميل فريد من نوعه تتفاخر به بين اصدقائك وانا اعدك ان بيتك هذا سيكون مفخرة لك ولن يقدر بمال ولا مجال بمقارنته ببيت اخر .

- ولكن الأموال كادت تنفذ فى بناءه .

- انا اعرف ذوقك واعلم ما تريد .. انت تريد بيتاً فخماً باقل التكاليف وهذا شاق وعسيرا ارجوك لا تفكر بهذه الطريقة .

والحقيقة ان القصر كان يبدو لى انه سيكون جميلاً فهو يقع بين اشجار الصنوبر على حافة البحر وعلى منحنى قريب من قمة الجبل وقد توقعت ان يكون قصرا رائعاً لا نظير له يثير الاهتمام .

وانثاء حديث سانتونيكس كنت اقف على بعد خطوات منه وقد انصرف من امام الرجل العجوز وتقدم نحوى بخطوات وهو يقول :

- إننى اختار زبائنى لبناء بيوتهم.

- فقلت له : تقصد الأثرياء فقط .

- نعم فالأثرياء يملكون المال للإنفاق على تشييدها وإن كنت لا ابالى بما يعود على من ارباح ومكاسب والواقع اننى لا ابنى سوى القصور فقط التى لها طراز خاص بها وانا اتعمد دائما ان تكون تلك القصور فى اماكن جميلة تبدو كالجوهرة، وإلا فما فائدتها إذا كانت ذات طبيعة قبيحة ونظر إلىّ وهو يقول فى ثقة .. هل تفهم ما اريد ان اوضحه لك .

- فاجبت.. لا اظن .. وإن كنت اشعر باننى فاهم لما تقول.

وفى مرة اخرى عدت لهذا القصر فوجدته قد ارتفع ولن استطيع ان اصفه فهو اكثر من رائع بل هو اجمل القصور التى رايتها طيلة حياتى . نعم كان بيتاً يدل على الجمال والروعة ويدل على صدق ما كان يردده المهندس العبقرى وكان من حق صاحبه ان يتفاخر به هو واسرته امام اصدقائه فهو قصر لا نظير له فى الوجود وامامى إعجابى ودهشتى من مفاتن هذا القصر العجيب . قال لى سانتونيكس المهندس العبقرى .. إننى استطيع ان ابنى لك بيتاً آخر فانا اعرف شكل البيت الذى ترغب فى بناءه .

فاجبت عليه بائساً .. انا نفسى لا اعرف ماذا يكون بيتى الذى اريد بناءه.

- ولكننى اعرف ما تريد حتى لو لم تكن انت تعرف ولكن للأسف إنك مفلس لا تملك مالاً لبناء بيت تريده وتتمناه .

- هذا حلم لن يتحقق لى ابدا .

- من يدرى ؟ فمن يولد فقيرا لا يظل على حاله والمال امره يدعو للغرابة فهو يذهب لمن يريده

- لكن انا غير محظوظ او موهوب للحصول عليه .

- كلا .. انت لست طموح وربما الطموح راقد فى عقلك لم يستيقظ بعد

- فقلت ، اوه.. ربما فحين يستيقظ طموحى واحصل على الثروة الطائلة فسوف الجا إليك .

- وزفر سانتونيكس وهو يقول ، لا استطيع الانتظار فانا لن اعيش طويلاً .

- إذن انت تريد منى ان اوقظ طموحى النائم فورا .

- كلا .. انت تتمتع بحياة هادئة لا تتركها ودعك من هذه الأحلام .

نعم اصاب المهندس بما يدور فى خلدى، فانا دائماً أكره جمع الأموال فقد وجدت تعاسة مرسومة ومنحوتة على وجود الأغنياء رغم مظاهرهم الخادعة بل لاحظت ان اغلبهم يصاب بأمراض خطيرة أما انا فاتمتع بصحة جيدة وابحث عن عمل هادئ غير شاق كى استمتع بما تبقى لى من عمر فى هذه الحياة . ولكن سانتونيكس هذا رجل طموح فهو دائم البحث عن خرائط ورسومات جديدة ولا يمل من الوصول إليها وقد اعتصر نفسه واكتوى بطموحاته واختزل شبابه فى البحث عن اموال كثيرة.

لقد حيرنى هذا المهندس كثيرا وقد فكرت فى شأنه مرات عديدة، كما تذكرت اللوحة الفنية والفتيات اللاتى عرفتهن وهن كثيرات .

كما تذكرت وجوه الأثرياء الذين رافقتهم وهى وجوه كئيبة وتشابهت مع بعضها .. إنهم ينزلون فى نفس الفنادق ويتناولون نفس الوجبات والمشروبات، وانا لا ازال انتظر شيئاً سيحل بى لا ادرى ما هو لكن إحساس غريب يتملكنى نحوه .. اعنى الفتاة المناسبة التى ستكون زوجة لى واليفتى فى الحياة فتاة من طراز امى او عمتى جوزيا او بعض أصدقائها، وانا

لم اكن عرفت شيئاً عن الحب ولم انسا ان اعايشه مع اى فتاة وربما كان هذا شان كل ابناء جيلى من الشباب الذين يطمعون فى فتيات جميلات لمطارحتهن الغرام ثم التخلى عنهن للعيش مع.

ولم يخطر لى ان احب حباً حقيقياً صحيح هو يظهر فجأة دون موعد سابق وان كنت انتظر وابحث عنه وافتش عن فتاة تبادلنى إياه . ولكن لمن هو ولمن يكون ومع من ؟ ثم متى سأرى هذه الفتاة التى اشتقت إليها طويلا ولم اجدها ؟ متى ستأتى؟

الفصل الرابع

كنت دائما اضع فى خطتى المستقبلية تاريخ هذا المزاد وقد كان امامى متسعاً من الوقت دفعنى للقيام برحلتين الأولى إلى فرنسا والثانية إلى المانيا وفى الأخيرة كنت اشعر بكراهية شديدة إزاء الرجل الذى كنت أنقله هو وزوجته . نعم .. رأيتهما فى عيناى دميمين وقحين. متهورين وشعرت اننى لا ارغب فى البقاء معهما كعادتى مع جميع من اتولى نقلهم داخل اوروبا إلا اننى رفضت الإفصاح عن مشاعرى وتظاهرت بالارتياح لهما فلم يكن هناك سبباً منطقياً لإثارة خلاف معهما يترتب عليه أضرار سلبية مع شركتى، ولذلك اتصلت بالفندق الذى سيقيمان فيه وابلغت ادارته اننى متوعك ثم ابرقت إلى لندن بذلك ايضاً . وزعمت فى برقيتى اننى قد أظل طريح فراش المستشفى لعدة أيام قادمة وان من الأفضل أن يرسلوا بسائق اخر بدلاً منى .. وإن كنت أعرف اننى لست بهذه الأهمية التى تستحق عناء أحد كى يسأل عنى ويستفسر عن أحوال صحتى وقد يكون عدم اكتراث الإدارة بشخصى هو ما دفعنى للتمرد على هذه المهنة القذرة التى كرهتها وسئمتها .

لا اعرف هل كان سبباً كافياً لهذا التمرد وهذه الثورة الداخلية التى اشتعلت جذوتها فى نفسى ام أن ذلك كان مبررا للحاق بصالة المزاد وبالفعل ذهبت إلى الموعد المحدد للمزاد ووصلت إلى هناك لأجد عبارة غريبة أضيفت إلى الإعلان القديم تقول ، (ما لم تكن قد بيعت باتفاق خاص) لقد كانت جملة حقيرة تدل على خبايا واسرار هذه المزادات ومؤامراتها التى تتم سرا بين هؤلاء المحترفين.. اللعنة لو تم ذلك من خلف ظهرى لقد كنت ثائرا مضطرباً لا اعرف لماذا ..؟ والغريب انه لم يسبق لى الاشتراك فى اى مزاد من قبل فلماذا كل هذا الانفعال والاهتمام هذه المرة؟ وبدأت الجلسة هادئة وقد حضرها نحو سبعة اشخاص فقط كانوا يتسمون بالمرح وخفة الدم وروح الدعابة على غير عادة اهل المزادات الأخرى الخاصة بالمفروشات والأثاثات وبدا

السجال وسرعان ما انتهى دون نتيجة حاسمة حيث كانت الأسعار بخسة جداً مما دفع أصحاب المزاد إلى فضه مبكراً لعدم الوصول إلى الرقم المطلوب للبيع . كان الحاضرون بعضهم من رجال القانون واحدهم يبدو لى من مظهره انه مزارع واخر اتصور انه يعمل فى مجال البناء وواحد اخر كان ملبسه واناقته تدل على انه رجل اعمال .

وبعد ان انفض سامر المزاد تحدثت مع احد القرويين الذى كان يقف بجوارى بدأت كلامى معه كما يلى :

- الا ترى انها كانت جلسة هادئة ومملة وتخلو من الإثارة ؟

- فاجابنى فى هدوء ايضاً . هل سبق لك حضور مزادات قبل ذلك ؟

- فقلت له .. كلا هذه أول مرة احضر فيها مزاد .

- فاجاب .. إذن يخيل لى انك حضرت بدافع الفضول (فانا لاحظت انك لم تشترك فى الجلسة وكنت تلوذ بالصمت مكتفاً به) .

- اجبت .. نعم فقد اردت ان اعرف كيف تسير هذه المزادات .

- فقال .. كما ترى تبدا بجس النبض دائماً ..

فنظرت إليه وكانى اريد ان افهم ما يقول حتى استطرد قائلاً :

- هناك ثلاثة يهتمون بهذا الأمر - ويزرى من هلمنستر وهو مقاول بناء والاثنان الآخران ناكهام وكومب وهما مندوبان عن إحدى شركات ليفربول وهناك رجل غريب الشكل اظنه من لندن وان بدا شديد الحذر والحيطة وهناك اشخاص مجهولين لا اعرف عنهم شيئاً وقد علمت ان الأرض تباع بابخس الأثمان .

فقلت له مقاطعاً - لماذا ؟ وهل سمعتها السيئة هى سبب ذلك ؟ - فقال .. يبدو انك سمعت عن منطقة الغجر فهى قصص شائعة فى الريف بسبب

حوادث السيارات وهو ما اظن انه خطأ جسيم ارتكبه مجلس القرية الذى تجاهل وصف وتسوية هذا الطريق المنحنى .

- ولكن طبقاً لمعلوماتى فإن المنطقة مشهورة بسمعة سيئة .

- كلا .. هذه خرافات روجها المزارعون والغجر ولعلمك فإن عملية البيع ستتم خلف ظهورنا واظن أن مندوب شركة ليفربول سيحصلان عليها حيث أن ويزرى يسعى دائماً لشراء الأشياء بارخص الأسعار ثم ان هذه الأرض شاسعة وكبيرة وتحتاج إلى إمكانيات جبارة لتنظيفها والبناء عليها .

- فقلت ... ولكن هذا لا يحدث الآن كثيرا

- فأجاب .. نعم .. نعم فهناك الضرائب والأعمال البيروقراطية إلى جانب صعوبة جلب الخدمة والعمال بسهولة إلى الريف ثم إن الناس دائما يرغبون فى شراء شقق فاخرة داخل المدن ولو كانت فى أدوار عليا بدلا من البقاء داخل القرية الريفية فقلت .. ولكنك لا تستطيع أن تبنى هنا بيتا رائعا .

- نعم اوافقك فى ذلك ولكن لا تنس أن هذا يتطلب نفقات باهظة هذا إلى جانب ان الناس بطبعها لا تميل نحو العزلة والانطواء .

- فقلت له .. كلا .. فإن بعض الناس يميلون إلى العزلة .

وضحكنا معاً وانصرفنا وانطلقت وحدى فى حيرة ووجدتنى على هدى قدماى أمشى نحو الطريق الذى يقع هناك بين أشجار الشوح القريبة من قمة التل المرتفع وقد قلت لكم أن من بين هذه الأشجار رأيت إيللى لأول مرة واقفة لجوار شجرة كانت ترتدى فستانا أخضر داكن وكان شعرها أحمر وقد بادرتها بالكلام بعد أن ظللت واقفة كعروس بحر لا تتكلم .

- إننى اعتذر فانا لم ارغب فى تخويفك فانا لم أكن أتوقع وجود أحد هنا فأجابت بصوت ناعم رقيق جميل كصوت طفلة بريئة .

- لتفهم ذلك .. فانا ايضا لم اكن لتوقع وجود احد غيرى هنا وطاف بصرى حول المكان الذي نقف فيه معا وانا اقول ، إنه مكان معزول فشعرت برعشة خفيفة سرت فى جسدها وظننت انه بفعل الطقس السيئ فاقتربت منها خطوة ثم قلت لها ،

- الا ترين ان هذا المكان مخيفاً بعض الشيء .. اقصد منظر البيت وهو اطلال هكذا .

- فاجابت بعد تفكير . تقصد بيت الأبراج اليس كذلك ؟ إننى لا ارى فيه اى ابراج كما يزعمون .

- فقلت لها .. هو اسم شائع ردده الناس دون تفكير منطقى ..

- فضحكت وقالت .. هل تعرف انه كان معروضاً للبيع مع الأراضى المجاورة له فى مزاد اقيم اليوم وانقضى منذ قليل .

- فقلت .. نعم وانا عائد منه الآن .

- فقالت .. اوه هل ترغب فى شراءه ؟

- فاجبت .. كلا فماذا افعل ببيت متداعى كهذا.

- فسالت .. هل اشتراه احد ..؟

- كلا .. فقد انقضى دون ان يشتريه احد لبخس الأثمان المعروضة .

- قالت .. اوه هذا امر حسن .

- فقلت .. هل ترغبين فى شراءه ..؟

- فاجابت، كلا.. كلا طبعا.

- وبدت منفعلة وهو ما دفعنى للقول .

- لذا كنت قد قلت إننى !!!اننى لا ارغب فى شراءه فهذا لأننى لا أملك

مالأ وفيرا لذلك ولكن من صميم قلبى اتمنى شراءه وبداخلى احساس يؤكد لى انه سوف يكون هذا البيت ملكى انا دون غيرى .

- ولكنه اطلال متداعية كما ترى ؟

- نعم .. اريده على حالته هذه .. فسوف اتخلص من هذا الحطام والركام .. ثم إنه بيت كئيب فى جغرافيا رائعة .. انظرى معى .. انظرى من هنا تعالى معى تأملى هذه الأشجار .. هذه التلال والأراضى الشاسعة يا إلهى إنها لوحة رائعة فاتنة الحسن والجمال .

واخذتها بحنان ورقة من ذراعها ومشيت بها عدة خطوات إلى قمة اخرى وقلت لها مستطردا ، انظرى من هنا، الطريق ينحدر إلى البحر والغابات الكثيفة وإذا تخلصت من هذه الغابات وقمت بتمهيد الطريق لتمكنت من بناء بيت جميل هنا يبدو جوهرة للناظرين ببت يبنيه مهندس عبقرى .

- فقالت فى هدوء ورقة .. هل تعرف مهندساً عبقريا ..؟!

- فاجبت بسرعة .. نعم أعرف واحدا يتمتع بذكاء وعبقرية لا نظير لهما .

ثم اردفت واصفاً لها عبقرية سانتونيكس .. كنا اثناء ذلك نجلس معاً فوق جذع شجرة واستطردت فى الحديث دون توقف وهى تسمعنى فى اهتمام اراحنى كثيرا حتى وجدتنى احكى لها ما يموج من صراعات فى نفسى ومشاعرى وقد انهيت حديثى معها قائلاً ،

- هى احلام وامنيات اتمنى تحقيقها وانا واثق من انها لن تتحقق ولكن فكرى معى سوف نقطع هذه الأشجار وسوف نزرع بستانا جميلا بدلا منها وسياتى صديقى المهندس المعمارى ويضع رسما جميلا للبيت الذى سنقيمه فيه سوف يكون بيتاً رائعاً سيظل حديث الناس إلى أن نموت ونعلمك فان المهندس سانتونيكس لا يبنى إلا القصور الفخمة فقط لأصحاب المال والذوق الرفيع .. إننى احلم وبوسعك ان تحلمى معى ايضاً .

- فقالت ليلى ، نعم اريد بيتاً كهذا .. إنك جعلتنى احلم به واتمناه بيتاً تطيب لنا الإقامة فيه دون ان يعكر صفونا اى شىء بعيداً عن ضوضاء المدن وضجيجها واحداثها .. لقد مللت الناس واريد ان انعزل عنهم واعيش هنا مع زوج طيب هادئ الطباع.

وهكذا بدأت قصتى مع ليلى، انا بكل ما املك من احلام وامنيات وهى بكل ما تملك من ثورة وتمرد وعصيان على اوضاعها وتوقفنا عن الكلام وتبادلنا النظرات وقد قطعت صمتنا بسؤال كنت اتوقعه منها .

- ولكن حتى الآن انا لا اعرف ما هو اسمك..؟!

- فاجبت - مايكل روجرز ولكن ما هو اسمك ياعزيزتى .

- فقالت بعد تردد فينيللا جودمان.

ولا ادرى لماذا ظهرت على وجهها علامات الضيق من سؤالى .. وعدنا مرة اخرى للسكوت والصمت نتبادل نظرات تحمل معانى الإعجاب والحيرة من امرنا .. كلانا يرغب فى تحديد موعد آخر .. كلانا يتطلع للقاء جديد ولكن من الذى سيبادر ويطلب من الذى سيجاهر ويعلن بما فى نفسه . إننا بدانا نفكر فى الانصراف وكلانا ايضاً يرفض ان يبدا فاللقاء جميل والحديث ممتع .. نعم فانا الذى كنت اجيد لغة الحوار مع اى فتاة لا اعرف كيف انهى حديثى معها ثم انا لا اريد ان اختم حديثى معها وهى ايضاً لا ترغب فى ذلك ولكن شيئاً ما جذبنى لهذه الفتاة .. جعلنى اسير لها ما هو انا لا اعرف فعلاً لا اعرف .. ليتنى اعرف ..

الفصل الخامس

الواقع .. ان علاقتى بالآنسة ليلى لم تتطور باكثر من ذلك وهذا يعود إلى الغموض والأسرار التى يحتفظ بها كلانا .. لذلك فقد رفضت الإفصاح عن شئونها الخاصة وشعرت انا بذلك من ترددها اثناء الإجابة على اسمها والعجيب ان كلانا كان يخشى ان يغور فى اعماق الآخر حرصاً على مشاعره وما يرغب فى عدم الكشف عنه لماذا .. لا نعرف ؟ لا نعرف .. حتى السؤال عن لقاء يجمعنا رفضنا ان نتطرق له.

ربما سالتها لعلى استكشف شيئاً مما يحيط بها من غموض حتى اتمكن من معرفتها كما ينبغى .. نعم انا اذكر انى سالتها قبل أن نفترق.

- هل تعيشين هنا فى هذه المنطقة ..؟

فاجابت فى تردد واضح ايضاً كعادتها .. اقيم فى ماركيت شادويل وهى كما قالت قرية صغيرة قريبة من هذا المكان .. وفى هذه القرية فندق مكون من ثلاثة طوابق وهى إحدى نزيلاته وقد بادرت بسؤالى وهى مرتبكة

- وانت يا مايكل اين تقيم ..؟

- فقلت انا لا اقيم هنا .. واعترف أن إجابتى كانت غامضة بعض الشىء وخيم الصمت علينا مرة اخرى فقطعت الصمت بعد أن سرت رياح باردة بيننا هزت الأشجار وانا اقول لها فى حنان وعذوبة .

- هل تسمحين لى بالمشى معك كى يسرى الدفء فى اجسادنا هل معك سيارة ام ستعودين بالقطار.. ؟

- فاجابت .. لقد تركت سيارتى بالقرب من القرية .

وعاد الانفعال يطل على مظاهر وجهها الجميل فقلت،

- إذن لنهبط معاً هذا المنحنى ولنقصد القرية.

اومات براسها بالموافقة فهبطنا المنحدر معاً فى خطوات بطيئة وفى اثناء سيرنا بين الأشجار ظهر أمامنا شبح من خلف إحدى الأشجار .. اه .. لقد كانت مسز لى التى رايتها فى اليوم السابق وقد بدا وجهها لى مخيفاً عما سبق ان رايته حيث كانت ضفائر شعرها تتطاير على وجهها وقد قالت لنا فى حدة وخشونة - ماذا تصنعان هنا أيها العزيزان - ولماذا جئتما إلى هنا إلى اراضى الغجر؟

- فاجابت ليلى .. اوه .. هل تعدينا على أملاك أحد يا سيدتى ..؟

- فقالت لى .. نعم فهذه المنطقة ملك الغجر واخشى ان يصيبكما شىء من لعناتهم فصدقونى لن تصيبوا فيها اى خير .

وبدت ليلى فى خجل وحرج من موقفها فقد كانت من ذاك النوع الهادئ الذى لا يميل إلى الافتعال والنقاش الحاد حيث اردفت تقول بهدوء

- إننى اسفة جداً إذا كنا قد تجاوزنا املاك الغير فقد ظننت ان هذا المكان معروضا للبيع اليوم .

- فاجابت مسز لى - سوف تجلب هذه الأراضى المشاكل لمن يشتريها .. ثم انت فتاة جميلة فلماذا تقتربين من هذه المتاعب .. اسمعينى يا عزيزتى .. جمالك الفتان ليس فى حاجة إلى حوادث دموية ولعنات تصيبك فى مقتل ارجوك ابتعدى عن هنا.. واسمعى نصيحتى لك جيداً .

فقالت ليلى .. لكننا لم نصنع شيئاً هنا يحدث ضرراً لأحد.

- فتدخلت مقاطعاً حوارهما وانا اقول فى انفعال وحدة .

- اسمعى يا مسز لى .. لا تحاولى تخويف هذه الفتاة كما صنعتى معى امس والتفت إلى ليلى وانا اقول بنفس الحدة إن مسز لى لها كوخ فى هذه القرية وهى تقرا الطالع وتتنبا كما تزعم وتدعى بالمستقبل اليس كذلك يا مسز لى ؟

فاجابت فى ثقة وكبرياء .. نعم املك هذه الموهبة ولا داعى لأن تتهكم او تسخر بالقول من مهنتى فقد ولدت هذه الموهبة معى فنحن نملكها جميعاً وإن لم نتنبه لها .. دعينى يا بنيتى اقرا عليك طالعك وضعى بعضاً من الفضة فى راحة يدى لأقرا لك حظك.

فاجابت ليلى .. لكننى لا ارغب فى ذلك ولا أؤمن به.

فردت مسز لى .. من الحكمة يا ابنتى ان تعرفى ما ينتظرك فى الأيام القادمة حتى تتجنبى المصائب والأهوال .

كنت اعرف ان اغلب الفتيات يرغبن فى معرفة الطالع وكنت انا اعطيهن بعضاً من نقودى لقراءة الطالع فقد كنت اشعر برغبة غريبة فى ذلك . وعلى اية حال فلم تنتظر ليلى ان امدها بالنقود فقد فتحت حقيبتها واخرجت نصف جنيه ووضعته فى يد العجوز مسز لى وبدات الأخيرة فى ممارسة مهام عملها . حتى صرخت صرخة مدوية وهى تقول :

- اه .. اسمعى ما سوف انطق به يا جميلتى ..

ونزعت ليلى قفازها من يدها التى بدت فى عينى جميلة بيضاء ورقيقة وراحت مسز لى تمسك راحة يديها وهى تقول ماذا أرى الآن ؟ ماذا ارى ؟ وكعادتها ألقت يدها فجاة .. وهى تقول بعد ان احتقن وجهها

- ابتعدى عن هذا المكان يا صغيرتى .. اذهبى غادرى ولا تعودى ثانية .. لا تعودين إلى اراضى الغجر وانا اعنى هذه المنطقة كلها ابتعدى .. ابتعدى فهذه اراضى ملعونة.

فقلت انا فى حدة .. هذا حمق وجنون مهما كان الأمر فهذه الفتاة لا علاقة لها بهذه المنطقة فقد جاءت إلى هنا بهدف التنزه فقط ليس إلا ..

وابدت العجوز عدم اكتراثها بما اقول وهى تصرخ .. يمكنك ان تقضى بقية عمرك سعيدة هانئة بعيداً عن هذا المكان الخطير .. اذهبى بعيداً حيث

بحبك الناس .. وتذكرى نصيحتى هذه .. وإلا .. وإلا .. فانا اكره ان ارى ما رايته فى يدك بحلت لك ارجوك يا ابنتى الجميلة اسمعينى جيداً وفجأة القت بنصف الجنيه فى وجه ليلى وهى تقول : "هذا شىء رهيب .. مخيف .. فظيع .. فظيع".

وانصرفت عنا فى خطوات سريعة والتفتت ليلى نحوى وهى تقول :

- إنها امراة اثارت رعبى وخوفى .

- فاجبت فى صوت قوى لا عليك يا عزيزتى إنها امراة مجنونة حمقاء فهى تريد ان تثير فزعك .

- ولكن قل لى يا مايكل .. هل وقعت هنا حوادث كثيرة ..؟

- إن الحوادث تقع فى اى منطقة ثم إن هنا منحدر ضيق وسبب ذلك تكاسل اعضاء مجلس القرية الذين لا يتحركون لتمهيده أو حتى وضع اى علامات إرشادية لتجنب المخاطر والحوادث اليومية .

- هل المشكلة فى حوادث السيارات فقط ام ان هناك حوادث أخرى غامضة ؟ فقلت لها .. من عادة الناس ان يصدقوا كل شىء بسهولة خاصة الأساطير والخرافات واظن ان هذه الروايات التى يرويها البعض هنا تخلو من المنطق والحكمة .

- إذن فهمت لماذا ستباع هذه الأراضى باثمان بخسة.

- قد يكون ذلك كذلك .. ولكنك لماذا ترتجفى هكذا يا عزيزتى .

واردفت اقول لها فى حنان الأب .. لا تخافى .. هيا بنا نسرع الخطى فى سيرنا ولكن هل ترغبين فى ان اتركك قبيل المدينة ؟

فاجابت فى سرعة غير معهودة منها .. كلا.. كلا ولماذا تريد ذلك ..؟!

فقمت بمحاولة لعلى أستطيع أن املك مشاعرها وعواطفها .

- اسمعينى جيداً يا فينيلا سوف اكون فى قريتك غدا .. اود ان اعرف هل ستكونين هناك .. اقصد هل هناك فرصة لرؤيتك ..؟

وهنا شعرت بالخجل وعدم القدرة على الاسترسال فى الكلام بأكثر من ذلك .. وقد التفت بوجهى بعيداً عنها وانا لا اعرف ماذا ساقول بعد ذلك فقالت هى تقطع صمتى وشرود فكرى وحيرتى

- نعم .. فانا لن اعود إلى العاصمة لندن قبل الليل .

فقلت: إذن .. اقصد .. أعنى .. إنها لوقاحة منى

- كلا .. لماذا تصفها بذلك ؟

- حسناً .. هل تلبين دعوتى لتناول الشاى فى مقهى (الكلب الأزرق) مثلاً إنه مكان رائع رومانسى .. هادئ وجميل .. وبحثت عن كلمة أخرى فتذكرت كلمة أمى التى طالما رددتها كثيرا امامى إنه مكان لائق يا عزيزتى .

فضحكت ليلى فى ثقة .. وهى تقول : انا واثقة انه مكان لائق نعم ساحضر إليك فى تمام الساعة الرابعة والنصف هل يروق لك هذا الموعد ؟

فاجبت فرحاً .. سأنتظرك .. إننى سعيد .. سعيد جدا يا عزيزتى .

والواقع اننى لا أعرف لماذا أنا فى هذه الحالة ولماذا كل هذا السرور ؟ وها نحن قد وصلنا إلى المنحنى الأخير وقلت لها وانا انظر إلى البيوت المرتفعة.

- إلى اللقاء .. لنلتقى غدا .. ولا عليك مما ذكرته هذه العجوز إنها ترغب فى إرهاب الناس وتخويفهم للابتعاد عن هذه المنطقة .

- وعادت ليلى تسأل فى خوف ، ولكن هل تظن انها صادقة فيما زعمت ؟

فاجبت .. كلا .. كلا لا اظن ذلك .

والحقيقة اننى كنت صادقاً فيما اقول. فلم اكن قد رايت فيها ما يشيع الخوف فى نفسى منها كما رايت فيما بعد حيث اعتقدت انه مكانا جميلاً ورائعا وهادئا، وهكذا تم لقائى الأول مع ليلى وفى اليوم التالى قصدت ماركيت شارويل وجلست فى مقهى الكلب الأزرق وسرعان ما وجدتها امامى واحضر الساقى فنجانين من الشاى الساخن وتجاذبنا أطراف الحديث وان كنا قد تعمدنا الابتعاد عن الأسرار الخاصة التى تتعلق بنا وفجاة نظرت فى ساعتها وهى تقول :

- أوه .. إننى ينبغى ان انصرف لكى الحق بقطار الخامسة والنصف المتوجه إلى لندن ..

- فقلت ، ظننت ان بحوزتك سيارة .

فارتبكت قليلاً .. وقالت ان السيارة التى كانت معى امس لم تكن ملكاً لى ولم تذكر لى اسم صاحبها فاشرت إلى الساقى وأعطيته الحساب ثم عدت اقول لها :

- وهل يمكن ان اراك ثانية ..؟

فنظرت وهى تحدث فى المائدة لتقول بهدوء

- سوف ابقى فى لندن نحن أسبوعين .

فقلت .. حسناً اين .. ؟ ومتى .. ؟

وضربنا موعدا بعد ثلاثة ايام فى حديقة ريجنت والتقينا بالفعل وتناولنا طعام الغداء فى الهواء الطلق .. وترجلنا فى حديقة الملكة مارى وقد افترشت الأرض وهنا بدأنا الحديث فى شئوننا الخاصة .. نعم تحدثت لنا عن سنوات الدراسة والأعمال التى مارستها أو بعضها وشرحت لها كراهيتى للاستقرار وكان عجيباً أن تبدى لى سعادتها عن هذا المسلك الذى انتقده الآخرين .

ونهضت تقول لى :

- إن الأمر بيننا مختلف .. بل مختلف جدا ورائع ايضا.

- فقلت مندهشاً ، مختلف ؟ عن اى شىء وماذا تقصدين؟

- اقصد انه مختلف تماماً .

- فبادرت بسؤالها .. هل انت ثرية يا عزيزتى..؟

- نعم .. انا فتاة ثرية جدا .. ولكن مسكينة.

وراحت تتحدث عن اهلها الأثرياء واصدقائها الأغنياء الذين يفرضون صداقتهم عليها، دون معارضة منها. كما تحدثت عن فشلها فى لقاء من تحب وترغب لفرض وصاية البعض عليها، وقد ذكرت لى ان امها ماتت وهى طفلة، وان اباها قد تزوج بامراة اخرى. وهى لا تكترث كثيرا بزوجة ابيها. وانها سافرت إلى بلدان كثيرة، وقضت معظم حياتها فى أمريكا وخيل لى اننى استمع إلى قصة خيالية وقد تعجبت من فتاة مثلها تعيش كالغرباء او المضطهدين .. حيث ذكرت ان حياتها تخلو من المرح والبهجة وقلت فى دهشة .

- هل لك صديقات مخلصات، وماذا عن أصدقائك الشبان ..؟

فاجابت فى اسى وحزن ، ان أسرتى تختار لى أصدقائى رغم اننى لا اميل لهم .

- هذا سجن .. منفى يا عزيزتى .

- نعم اشعر بذلك .

- ولكن اين اصدقائك المخلصين ؟

- لى صديقة تدعى جريتا .

- من هى جريتا إذن ..؟

- هى رفيقة لى جاءتنى فى البداية كوصيفة وكانت لى وصيفات كثيرات غيرها كانت هناك فتاة فرنسية عاشت معى سنة تعلمت منها اللغة الفرنسية .. ثم حلت علينا جريتا من ألمانيا فتعلمت منها الألمانية .. وهى تختلف عن الوصيفات الأخريات.

- فسألتها .. هل تحبينها حقاً ..؟

- نعم فهى تساعدنى وتدبر لى أمور حياتى إنها تعد خططا كثيرة لكى أتصرف كما أشاء وهى تجيد الكذب، وما كنت أستطيع المجىء إلى منطقة الغجر لولا كذبها ثم إنها تقيم معى فى لندن بينما تعيش زوجة أبى فى باريس وهى تكتب الخطابات باسمى إلى أبى وزوجته لكى يتأكدا أننى فى مكانى أعيش معها بينما أنا أكون فى مكان آخر فسألتها .. وما شكلها ..؟

- فأجابت.. أوه .. نعم .. جميلة شقراء طويلة القامة جريئة.

- قلت : لا أحب هذا النوع من الفتيات .

- فضحكت إيللى وهى تقول، كلا سوف تميل إليها وستحبها إنى واثقة من ذلك فهى تتمتع بذكاء خارق عجيب .

- كلا .. أنا أكره الفتيات اللاتى تتمتعن بالذكاء العجيب كما أنى لا أحب الشقراوات خصوصاً.. إننى أحب الفتيات الرقيقات ذوات الشعر الأحمر الذى يشبه أوراق الخريف .

- قالت إيللى .. هل أنت تغار من جريتا ..؟!

- فقلت : يجوز .. لأنك تحبينها كثيرا ..

- نعم أنا أحبها جدا، فهى قد أحدثت تغيير مجرى حياتى .

- إذن هى التى اقترحت عليك الذهاب إلى منطقة الغجر ؟ إنه مكان غامض لا يستحق الرؤية والتنزه فلماذا دفعتك إلى هذا المكان ..؟!

- فأجابت إيللى .. هذا سرنا الخاص (وبدت إيللى مرتبكة بعض الشىء).

- تفصلين سركما أنت وجريتا معاً .. أرجوك أفصحى لى عنه .

- كلا .. ينبغى أن تكون لى أسرارا خاصة .

- وهل تعلم جريتا أننا نلتقى معاً ..؟!

- إنها تعلم أننى ألتقى مع أحد الأشخاص ليس إلا فهى متأكدة أننى سعيدة .. واختفت إيللى أسبوعاً كاملاً لم أشاهدها فيه فقد عادت زوجة أبيها من باريس وبصحبة رجل تدعوه بالعم فرانك وعللت غيابها باستعدادات أسرتها لإقامة عيد ميلادها فى حفل ضخم تتحدث عنه لندن وأردفت تقول :

- لن أستطيع الخروج قبل أسبوع وبعده سوف أستطيع الخروج

- لماذا ..؟

- لأننى سأفعل ما أريد أن أفعله بعد ذلك

- فقلت .. بفضل أكاذيب جريتا كالعادة .

كنت أتعمد أن أثير ضحكها عند الحديث عن جريتا حتى قالت .

- إنك أحمق لأنك تغار منها ولئن قابلتها فسوف تميل لها وتحبها كثيرا . وسألتها عمن يكون فرانك هذا ؟ فأجابت ..

- الواقع أننى لا أعرف شيئاً عنه فيما عدا أنه قد تزوج بعمتى وهو ليس من أقربائى الحقيقيين وبعد أن ماتت عمتى وقع فى مشاكل عديدة.

فسألتها فى حدة .. أهو سيئ الأخلاق والسمعة ..؟

فاجابت .. اوه .. كلا ليس كذلك ولكنه دائماً يقع فى مشكلات مالية، وقد اعتاد رجال القانون على إنقاذه قبل ان يدخل السجن.

- فقلت ، إذن هو العضو الفاسد فى اسرتك ولدى شعور يتملكنى من اننى ساستطيع التفاهم معه بشان جريتا .

- فقالت ، إنه رجل ظريف ستروق لك صحبته.

- فقلت ، ولكن هل تحبينه ..؟

- احبه ولكن اكره طريقته فى الحياة العملية وافكاره فى رسم مشروعاته، هل هو من هؤلاء الذين يجيدون رسم الخطط المستقبلية والمشروعات المالية ؟ فاجابت ليللى .. لا اعرف شيئاً عنه .. هو رجل غامض.

ولم الاحظ عليها لهفتها فى ان التقى مع اسرتها وهنا اقتحمت هذه النقطة وانا اقول .. اسمعى جيداً يا ليللى .. هل يروق لك ان التقى مع احد من افراد اسرتك ام ان هذا لا يعنيك الآن ؟

فاجابت .. كلا .. لا ارغب فى ان تلتقى مع احد منهم .

- هل انا غير اهلاً لذلك يا ليللى ..؟

- كلا لا اقصد ذلك .. فانا اخشى إثارة متاعب لا اقدر على مجابهتها .

- ولكن موقفى غير شريف ..

- لا عليك .. فانا كبرت بما فيه الكفاية .. ويمكننى الآن أن أختار اصدقائى كما اريد دون تدخل من احد فى هذا الشأن .. صحيح لو علموا بأمرك لمنعونى من الخروج ولن اتمكن من مقابلتك فارجوك دعنا كما نحن على هذا المنوال .

- فقلت .. إذا كانت هذه رغبتك فلا مانع عندى ولكننى اخشى ان اكون مخادعاً .

- كلا .. انت لا تخدع احداً لاننى احتفظ بصديق ابادله أطراف الحديث كما يحلو لى وابتسمت ابتسامة مشرقة وهى تقول .. أستطيع ان ابنى لنفسى اوهاماً، وهى اوهام جميلة رائعة لا اريد ان اتخلى عنها . نعم لقد كانت صادقة فقد بنينا اوهاماً كثيرة فى شراء منطقة الغجر وبنينا فوقها قصراً حالماً رائعاً .. وهكذا اختفت ليللى نحو اسبوعاً كاملاً وقررت شراء خاتم صغير من الفضة اقدمه لها بمناسبة عيد ميلادها بكل ما معى من نقود والحقيقة انها أحبت هذا الخاتم كثيراً بل بدت لى سعيدة به وقد قالت فى فرح .. إنه رائع حقاً..

يا إلهى لقد أعجبها هذا الخاتم الحقير وهى التى تتزين بالزمرد والأحجار الكريمة كما بدت لى فى معصمها وأصابعها ثم قطعت حيرتى وهى تقول ،

- إنه اجمل هدية فى عيد ميلادها .

ثم بعثت لى برسالة تشير فيها إلى سفرها إلى الخارج مع أسرتها. وبالتحديد إلى جنوب فرنسا عقب احتفالها بعيد ميلادها.

- كتبت تقول فى صدر رسالتها الرقيقة .. لا تقلق .. ساعود بعد اسبوعين او ثلاثة حيث سنسافر إلى نيويورك وسوف التقى بك بعد عودتى لأتحدث معك فى شىء اود ان افاتحك فيه .

وساورنى القلق عليها وسرعان ما عرفت أن أرض الغجر قد تم بيعها لإحدى الشركات فى اتفاق خاص وحين سألت المحامى للسئول عن عملية إتمام البيع والشراء لماذا رفض الإفصاح عن هوية مالكها الجديد أكد لى فى غموض انه رجل اعمال كبير يبغى رفع سعرها فى المستقبل .

الفصل السادس

وإذا تحدثت معكم عن امي فهي لا تزال تعيش في بيتها الذى تقيم فيه منذ عشرين عاماً وهو كائن في شارع كئيب لا يحظى بأية سمة جمالية إطلاقاً .. كانت واجهته بيضاء اللون ورقمه ٤٦ .

وضغطت على جرس المنزل ففتحت لي امي ووقفت تتأملني طويلا أما هي فقد كانت كما هي.. طويلة القامة .. نحيفة .. صارمة .. متشككة .. إلا انها بدت رقيقة حانية وكانت دائماً على خلاف معي في أسلوب حياتي تريد ان اتغير وراحت تقول:

- اهو انت ..؟

- نعم انا يا امي ..

وتراجعت خطوات قليلة للخلف وهي تقول :

- اين كنت ..؟ منذ مدة طويلة لم ارك ..!

- ابدا .. لم افعل شيئاً جديدا

- كعادتك دائماً طبعاً .

- نعم يا امي ليس لدى جديد .

- كم حرفة زاولتها منذ ان غادرت البيت ؟

- نحو خمسة اعمال يا امي

فنظرت في اسى .. وهي تقول كم أتمنى أن تصبح رجلا يا ولدى

- أنا رجل اخترت طريقي في الحياة يا أمي ..

- كلا .. ليس هناك تغير في حياتك.

- لماذا جئت يا مايكل إلى هنا ..؟

- وهل يجب أن يكون هناك سبب لمجيئى يا امى؟!

- نعم يجب أن يكون هناك سبباً معقولا .

- لا افهم لماذا ترفضين رغبتى فى رؤية ارجاء المعمورة .

- وهل الطواف معناه ان تترك مستقبلك ..؟!

-كلا .. كلا .

- لقد اتصلت الشركة بك وابلغتنى انك تركت العمل فيها .

- ماذا يريدون ..؟!

- يريدون ان تعود للعمل معهم.

- نعم يريدوننى لأننى سائق ماهر وكل العملاء يحبوننى ولكننى كنت مريضاً .

- هذا شانك وحدك .

وكان واضحاً انها لا تصدق حكاية مرضى المزعومة وقد سالتنى مرة اخرى .

- لماذا إذن لم تتصل بهم حال عودتك من لندن..؟

- لأننى التحقت بعمل اخر .

- أو نزوات جديدة وافكار وحشية ماذا عملت إذن وفى اى مجال ..؟

- اشتغلت فى محطة بنزين .. ثم ميكانيكيا ثم عمل كتابى ثم غسيل الأطباق .

- وأجابت بعد شهقة .. اراك تهبط إلى الدرك الأسفل .

- كلا .. فهذا جزء من خطتى المستقبلية .

فتنهدت وهى تقول .. اترغب فى شراب شاى ام قهوة .

- فأجبت إننى ارغب فى احتساء القهوة لأننى تناولت شايا كثيرا ثم احضرت امى قطعة من الكعك واعطتنى إياها وامسكت بفنجان قهوتها وهى تقول .

- إنك تغيرت .

- انا .. ؟ كيف ..؟!

- لا اعرف ولكنك تغيرت .. ما الذى حدث لك .

- لم يحدث شىء ولماذا تريدين ان يحدث لى شىء

- إنك تبدو منفعلاً .

- آه .. لقد سطوت على احد البنوك .

- هذا عمل لا تقدر عليه ..

- ولماذا ..؟ إنه اسهل وسيلة للثراء .

- ولكنه عمل شاق يتطلب ذهن وجهد وانت كسول بطبعك

- هل تتصورين انك تعرفين كل شىء عنى ؟

- كلا .. ولكنى اعرف بعض الشىء عنك فانت مقدم على عمل خطير قد تكون فتاة ..اليس كذلك يا مايكل؟

- ولماذا توقعتى أن تكون فتاة ..؟

- لأننى اعتقد ان هذا امر لابد ان تتعرض له يوما ما ؟

- ولكنى التقيت مع فتيات كثيرات

- كنت تتسلى ولكنك لم تلتق مع فتاة تحبها وتجذب اهتمامك.

- إذن هل تعتقدين اننى مختلف اليوم فعلاً .

- نعم يا ميكى واظن ان فى الأمر فتاة أليس كذلك .

- نعم يا امى ..

- اى نوع من الفتيات يا ميكى ؟

- النوع الذى أبحث عنه منذ زمن .

- هل ستصحبها لتقدمها لى ؟

- كـــــــلا ..

- لـــــــــاذا ..

- ليس كما تظنين ؟

- انت تخاف من ان اراها فاقول لك انها لا تصلح لك.

- ليس هذا هو السبب .

- نعم هو السبب فانت دائماً تعرف اننى صائبة فى ارائى وكم جربت انت معى هذا الأمر كثيرا (أليس كذلك)؟

- فضحكت وقلت .. ليتنى استطيع ان احبها يا امى .

- إذن لماذا جئت إلى هنا ؟ لتريد اموالاً كعادتك؟

- نعم اريد بعض المال .

- كلا .. هل تريده لكى تنفقه على هذه الفتاة..؟

- كلا .. إنما ارغب فى شراء ثوب جديد للزواج.

- هل ستتزوجها ..؟!

- إذا وافقت هى بذلك .

- واعتدلت امى فى جلستها وهى تقول ،

- اتمنى ان تصارحنى بالحقيقة يا ميكى لنك غامض تعشق الأسرار ولكنى اراك ارتبطت بها واخشى الا تكون قد أجسنت الاختيار .

- كيف يا امى ..؟ كيف لا احسن الاختيار ..؟

- وانصرفت منزعجاً لمغادرة البيت وقد اغلقت الباب خلفى فى عصبية وعنف وانا اتمتم ببعض الكلمات الحادة الخشنة .

الفصل السابع

"ارجو انتظارى غدا فى الخامسة والنصف فى المكان المعتاد لنا" .. كان هذا نص برقية وجدتها فى مسكنى عليها خاتم بريد جزر الأنتيب .

وذهبت للموعد المحدد والتقيت مع ليللى التى كانت تتحدث بأسلوب يختلف عما سبق لها أن تحدثت به معى فادركت من فورى أن شيئاً ما قد حدث فقد التقينا معاً كالغرباء ولا أدرى لماذا ارتبكنا فمن ناحيتى قررت مفاتحتها فى أمر زواجى منها ولكن كنت مترددا شأنى فى ذلك شأن كل شاب مقبل على الزواج .

اما هى فكما قلت كانت غريبة فى حديثها حتى ظننت أنها بقدر الإمكان تحاول فض علاقتنا بحيث لا تسبب لى حرجا يؤذى مشاعرى .

ولكنى سرعان ما طردت هذه الهواجس والخواطر فانا على يقينى من حبها لى ولكن لماذا أثارت حيرتى بتصرفاتها الغريبة؟

أه .. قبل أن أنسى فإن ليللى كانت تكبرنى بعام واحد وهنا فى تقديرى لا يستدعى كل هذه المتغيرات .

على أية حال راح الصمت بيننا تنقطع أوصاله وحباله ثم قالت:

- مايكل .. لقد شاهدت القصر الجميل الذى حدثتنى عنه كثيرا هل تذكره ..؟ إنه القصر الذى بناه صديقك المهندس العبقرى .

-من ..؟ تقصدين سانتونيكس ..؟!

- نعم .. ذهبنا إليه وتناولنا فيه طعام الغذاء.

- كيف ؟ هل تعرفين صاحبه ؟

- تقصد ديمترى قسطنطين ؟ أنت لا تعرفه معرفة قوية ولكن جريتا هى التى رتبت هذه الزيارة الجميلة .

- فقلت وقد تضايقت مما سمعت .

- جريتا .. تانى ..

- لقد قلت لك انها فتاة جريئة ورائعة .

- هذا اكيد ولكن من كان معكما .

- زوجة ابى والعم فرانك ايضاً .

- هل كانت حفلة خاصة بكم فقط وهل كانت جريتا معكم ؟

- كلا لم تحضر معنا فإن كورا زوجة ابى لا تروق لجريتا إطلاقاً .

- ربما لأنها فتاة من اسرة فقيرة .. مجرد خادمة.. او وصيفة .

- كلا فهى ليست وصيفة .

- لا تبالغين يا ايللى وتتواضعين فهى وصيفة وخادمة ومربية وسكرتيرة .

- لا عليك دع جريتا وشأنها .. المهم اننى حين شاهدت القصر الذى بناه صديقك تمنيت ان يكون لنا قصرا مثله .

وهكذا باحت لى ايللى بما فى مكنونها نحوى فهى تقول (لنا) ثم اردفت تقول .

- لقد طلبت من جريتا تدبير طريقة لزيارة هذا القصر فى الريفيرا لمشاهدته لكن ابنى واحدا مثله كى يحقق لنا احلامنا التى رسمناها معاً .

- فقلت فرحاً وانا اتماسك من الفرحة .

- انا مسرور من إعجابك به .

- وانت يا مايكل .. ماذا صنعت ؟ .

- انا .. اوه .. انا .. انا راهنت على جواد فى سباق الخيل ودفعت جنيها وربحت ثلاثين فكما ترين فانا محظوظ يا عزيزتى .

- فقالت ايللى وهى تبتسم .. انا سعيدة جدا لأنك ربحت .

- قالت ذلك دون اهتمام حيث ان المبلغ الذى ربحته لا يمثل لها شيئا وان كان بالنسبة لى يمثل ثروة هائلة .. هكذا نحن معشر الفقراء ثم عدت اقول بعد لحظات من الصمت الرهيب .

- اه .. على فكرة يا ايللى لقد ذهبت إلى والدتى .

- حسناً .. لقد تذكرت لماذا لم تحدثنى عنها كثيرا يا مايكل؟

- فقلت فى حدة .. ولماذا ترغبين فى أن اتحدث عنها..؟

- فأجابت .. الا تحبها يا مايكل ..

فسكت فترة ثم أجبت فى حيرة .

- لا اعرف .. احياناً اشعر بالحب نحوها واحيانا أخرى لا أحس بذلك وعلى اي حال فلا يمكن لى أن اتخلى عنها.

فقالت ايللى .. ارى انك تحبها كما يبدو لى .

- ربما .. ولكن امى تعرفنى جيدا اقصد تعرف نقاط الضعف بداخلى .

- هذا طبيعى وانت يا مايكل فى حاجة لشخص يعرفك تمام المعرفة

- ماذا تقصدين بقولك يا ايللى ؟

- هناك مثل بريطانى شهير يقول : الخادم لا تخفى عليه اسرار سيده. وشكسبير يقول انه الخادم الوحيد فى الدنيا الذى يرى الملك عاريا على غير عادته امام شعبه واعتقد اننا فى حاجة إلى خادم يستمع إلى خبايانا وعيوبنا فيصلحها .

- اعتقد ان لك آراء غريبة يا ليلى .

وامسكت يدها وانا اقول لها بصوت خافت .

- هل انت تعرفين كل شيء عني يا ليلى ؟

فاجابت في ثقة .. اعتقد انني اعرفك جيداً .

- ولكن انا لم اتحدث بالكثير عن نفسي يا ليلى فكيف إذن تقولين ذلك .. ؟

- رغم كثرة صمتك معي فانا أعرف اى نوع انت من البشر .

- كيف ؟ انا لا اظن انك تعرفينني تمام المعرفة .. ثم هل تتهمينني بالحماقة إذا انا قلت لك انني احبك وهو اعتراف متاخر .. نعم اعرف انك لاحظتي ذلك منذ اول لقاء جمعنا معاً اليس كذلك.

- المهم الآن ان نعرف ماذا سنصنع فالأمر ليس سهلاً او ليناً يا ليلى فإنني من اسرة فقيرة وامي تقيم في بيت يختلف تماماً عن بيتكم ومجتمعنا ادنى من مجتمعكم فكيف يا ليلى سنصنع مستقبلنا؟ كانت ليلى صامتة وتنظر إلى الأرض وهي تفكر ثم قالت بغير تردد.

- هل تسمح لى بلقاء والدتك ..؟

- نعم هذا امر طيب ولكن ما الذى ستضيفه هذه الزيارة إلى علاقتنا، اظن انها ستضيف اعباء نفسية على كاهلك فانا كما قلت من اسرة فقيرة واصدقائي من الصعاليك على غير اهلك واصدقائك إنها مشكلة صعبة ومعقدة، فانا جاهل فقير وانت مثقفة وثرية فماذا اصنع ؟

- فاجابت ليلى ، اسمع يا مايكل سنعيش معاً في بيت الأحلام بيت الأبراج في أراضي الغجر سنعيش معاً وسوف يبنيه صديقك المهندس المعماري سانتونيكس ولكن لي شرط واحد هو ان نتزوج اولاً واظن ان هذا هو ما تتطلع إليه.

- اجبت .. نعم .. وهذا اقصى ما اتمناه .. هذا إذا كان شعورك نحوى كشعورى نحوك .

- فقالت ، إذن سنتزوج الأسبوع القادم فقد بلغت الآن سن الرشد .

- بوسعي ان اصنع ما اشاء واظنك على حق في مخاوفك وشكوكك بالنسبة للأهل والمهم الا تذكر شيئاً لأمك وانا ايضاً لن اذكر شيئاً لأهلي حتى نضعهم امام امر بات محتوماً لا مناص منه.

- فقلت .. هذا رائع .. رائع يا ليلى ولكن هناك شيئاً يجب أن أحدثك عنه فإن اراضي الغجر قد تم بيعها .

فاجابت .. أعرف إنها بيعت وانا التي اشتريتها يامايكل .

قالت ذلك وهي تضحك ضحكة عالية، ترن بين أشجار الحديقة .

الفصل الثامن

اثناء هذا الحديث الذى دار بينى وبين ليللى ونحن نفترش كالعادة اعشاب الحديقة كانت هناك اسر تجلس بجوارنا يرصدون انفاسنا ويترقبون همساتنا ويطاردون نظراتنا ويتاملون سكوتنا ولكننا لم ننتبه لهم فقد كنا كالطيور السابحة فى فضاء الكون نحلق بأجنحتنا على الدنيا .. بل كنا .. كالزهور والورود المتفتحة التى تشع عبيرا اخاذا كنا كعاشقين حفظ التاريخ قصتهما .. كنا حالمين .. كنا نهيم معا ونتغنى ونرقص باجنحة القلوب .. كنا نضحك فى الأعماق واذا تلامست ايادينا اقشعرت ابداننا واحمرت وجوهنا .

وامام هذه الصور الجميلة نهضت ليللى وهى تقول :

- اسمع يا مايكل عندى اشياء يجب أن اعترف لك بها .

- لا .. لا اود ان اسمع شيئاً حتى لو كانت لك علاقات جنسية فى الماضى او عاطفية فانا سعيد ولا اود سماع اى شئ ثم اننى لا ابالى بما تخفيه عنى .

- مايكل .. ارجوك تسمعنى فانا لم تكن لى علاقات عاطفية أو جنسية إطلاقاً ولكن اود ان اوضح لك بعض ما لا تعرفه عنى .. انا يا مايكل أرسلت بعض المحامين لشراء الأرض وانا لا امتلك ثمنها حيث لم تتوافر معى الأموال لأننى لم اكن قد بلغت بعد سن الرشد واننى لم اقل لك اننى قد ورثت عن جدى ثروة طائلة لا حد لها حيث كان يعمل فى حقول البترول قد تزوج كثيرا ولكن زوجاته توفين جميعاً ولم يبقى له غيرى انا وابى فقد قتل ولديه الآخرين فالأول مات فى كوريا والآخر مات فى حادث سيارة وهكذا ورث ابى ثروة طائلة وحين مات فجأة ورثت انا كل شيء وقد منح زوجته قبل وفاته ثروة لا بأس بها لذلك فهى لم ترث فيه بعد وفاته فورثت انا كل ثروته لذلك فانا من اغنى سيدات امريكا يا مايكل .

فاجبت قائلا .. يا إلهى ما هذا إننى لم اكن اعرف كل هذه المعلومات لذلك فقد اخفيت عنك اسمى الحقيقى حين قلت لك ان اسم عائلتى هو جودمان ولكن الاسم الحقيقى جيوتمان ولعلك تذكر ذلك .

- فقلت ، نعم .. نعم اذكر شيئا من هذا القبيل .

- فقالت .. ولهذا اخفيت عنك حقيقتى وتحاشيت الخوض فيها معك .. هل تعرف يا مايكل اننى قبل بلوغى سن الرشد كانت زوجة ابى والعم فرانك قد جندوا بعض الحراسة والمخبرين السريين لملاحقتى اينما كنت لدراسة احوال اى إنسان اتعرف عليه وهل يتواءم مع مركزى الاجتماعى ام لا ؟ لقد كنت اعيش فى سجن مكون من اربعة جدران .. سجن رهيب كئيب والآن .. الآن صرت حرة .. اصبحت طليقة افعل ما فى وسعى دون أن اكترث بشأن احد ..

- فقلت لها .. أحب فيك تواضعك وعفويتك رغم ثرائك الرهيب .

- فاجابت .. وانا ايضاً احب فيك انك تعيش طبيعياً طبقا لظروفك دون ملل او تتطلع لأموال احد غيرك .

- فقلت .. الخلاف الوحيد بيننا إنك تدفعين ضرائب باهظة أما انا فلا ادفع ضرائب البتة فمن اين لى .. ها .. ها .. ها .. ها .

- قالت ليلى .. سيكون لنا بيتا جميلا .. فى أراضى الغجر .

وهنا احسست برعشة دبت فى يدها فقلت لها :

- حبيبتى ليلى .. هل تشعرين بالبرد القارص

فاجابت وهى تنظر للشمس .. كلا .

فقد كانت الشمس ساطعة وأشعتها تغمر المكان الذى نفترشه .. لكنها تذكرت المرأة الغجرية التى قرأت لها طالعها .. فقلت لها :

- لا عليك .. إنها امرأة مجنونة .. لا تفكرى فى امرها .

- هل تظن انها صادقة فيما روته عن لعنة الغجر فى هذه المنطقة

- لا اظن .. إنها اساطير من صنع الغجر اعتادوا عليها .

- ولكن هل لديك معلومات عن الغجر يا مايك ؟

اجبت صادقاً .. كلا .. لا اعرف عنهم شيئاً وإذا كنت تتخوفين منها فلماذا لا نبنى لنا بيتا فى الريفيرا او اسبانيا او احد تلال إيطاليا وسوف يبنيه لنا صديقى المعمارى سانتونيكس.

- فقالت .. كلا .. اريد بيتا هنا .. فقد رأيتك اول مرة ويكفينى أن اتذكر دائماً وقوفك امامى وقد تسمرت قدمك وتعلقت عيونك على عينى وحملقت فيها .

فأنا لن انس هذا ابدا .

- قلت .. وانا ايضاً يا ليلى لن انس هذه اللحظة ما حييت .

- فقالت .. لهذا فسوف نبنى بيتاً هنا .. وسيبنيه لنا صديقك سانتونيكس فقلت وانا فى اضطراب .. اتمنى ان يكون على قيد الحياة .. فقد كان مريضاً جدا حين لقيته آخر مرة .

- لا عليك .. اطمئن .. إنه على قيد الحياة .. فقد ذهبت لزيارته .

- تقولين .. ذهبت لزيارته .

- نعم حين سافرت إلى جنوب فرنسا، وكان نزيل إحدى المصحات الطبية .

- ليلى .. انت تثيرى دهشتى دائماً فى تصرفاتك .

- إنه رجل عبقرى لكنه مخيف يا مايكل .

- هل شعرت بالخوف منه .. ؟

- نعم لقد اخافنى كثيرا لسبب ما .

- هل تحدثتى معه عن قصتنا ؟

- نعم قلت له كل شىء عنا .. وعن أراضى الغجر وعن البيت الذى تريد ان يبنيه لنا فى أراضى الغجر وتمنى ان يسترد عافيته لرؤية المكان ووضع الرسومات الهندسية له وقد تاق لبناءه قبل ان يموت واخبرته اننى اتمنى ان يعيش حتى يرانى انا وانت ننتقل إليه .

- وماذا قال عقب سماعه ذلك ؟

- سالنى عن صدق نيتى فى الزواج منك فاجبته بالإيجاب طبعاً .

- حسنـــــا .. ؟

- قال إنه يتعجب إذا كنت انت على علم بذلك..؟

- إننى اعرف تماماً ماذا اصنع .

- قالت إيللى .. لقد اختتم المهندس حديثه معى وهو يقول ، "اخشى عليك يا إيللى من تغيرات مايكل فهو مازال صغير السن لا يقوى على البقاء والاستمرار فى مكان واحد ثابت .. نعم اخاف عليك من هذا الولد الشقى الصغير" فقلت لا عليك سوف يكون مايكل فى امان إلى اخر العمر .

كانت هى واثقة من نفسها وكنت انا متضايق من صديقى سانتونيكس فهو مثل امى .

وهنا قاطعت إيللى شرود ذهنى وهى تقول ،

- لقد بدا العمال يرفعون انقاض البيت القديم وراحت تتكلم باسلوب رجال الأعمال .. حيث اردفت تقول،

- سيكون العمل شاقاً جدا بمجرد انتهاء المهندس من رسوماته وعلينا ان نسبق الزمن .. هكذا قال لى صديقك سانتونيكس ثم هل توافق على أن نتزوج يوم الثلاثاء القادم ؟ إننى أحب هذا اليوم يا مايكل .

- قلت .. هل سيوجد احد غيرنا هناك .

- فقالت .. ستكون معنا جريتا فقط .

- فصرخت فى وجهها .. فلتذهب جريتا إلى الجحيم .. إنها يجب الا تحضر زواجنا ويمكن لنا استدعاء اية شهود من اى مكان . والحقيقة أن هذا اليوم كان هو اجمل ايام حياتى على الإطلاق .

الفصل التاسع

هكذا تزوجنا انا وليلى فى هدوء وسكينة وكان ذلك جزء من الخطة التى رسمناها معاً كى نحقق احلامنا التى تحدثنا فيها معاً .. وعشنا مثل اى زوجين سعيدين سافرنا إلى كل انحاء الدنيا إلى اسبانيا وإيطاليا والمانيا وسويسرا والنرويج احياناً بالطائرات واحياناً بالسيارات وفى الغالب بالسفن او اليخوت كنا فى نشوة لا نظير لها وراحت تتحدث بلهجة جديدة عن زوجة ابيها التى تزوجت كثيرا من شباب صغير السن، كانوا يتطلعون إلى ثروتها الطائلة، ثم تحدثت عن جريتا الوصيفة الألمانية وذكائها الخارق فى تدبير امورها واعمالها ثم حدثتنى عما سنتعرض له من مضايقات من أهلها اذا اخبروا بامر زواجنا وقلت لها ماذا سيفعلون بنا ؟

- فاجابت .. سيشتروك منى ؟

- فقلت ، كيف ..؟!

- فقالت ، بمئات الآلاف من الجنيهات حسبما يروق لك أن تبيعنى قالت ذلك وهى تضحك وشعرت بالإهانة فأحست بذلك وقد قالت ، لا عليك يا مايكل فانا اعرف كم تحبنى ولكن الأمور دائما تتغير وقد حدث أن امرأة مشهورة كانت تسمى بملكة البترول قد تزوجت من شاب صغير كان يعمل حارساً فى إحدى شركاتها ثم راح يطلب منها اموالا طائلة نظير طلاقه منها .. هل سمعت عن هذه الرواية ..؟!

- نعم سمعت ولكن هل تظنيننى مثل هذا الشاب؟

فضحكت وهى تقول .. لا عليك يا مايكل .. إننا نتحدث دون أن نعنى ما نقول وعادت تقول المهم الآن اننا يجب ان نتفرغ لإنهاء بناء بيتنا الذى نعيش فيه بعد ذلك اعنى اراضى الفجر يا مايكل .

- فقلت .. إننى اتوق لذلك فقد كرهت رؤية الناس اننى أود أن أكون

معك بمفردنا بعيدا عن الفنادق والناس وارغب الا يشاركنى احد العيش معك.

- فقالت ، نعم سوف يكون بيتا لنا فقط.

- فقلت ، وانا اتمنى ذلك .

- قالت ، ولكن جريتا فقط هى التى ستظل معنا .

- فقلت ، جريتا .. جريتا .. لماذا ستظل جريتا معنا لماذا ..؟

- فقالت .. جريتا إنسانة رائعة وانت لم تلتق بها بعد وسوف تروق لك معرفتها وهى قادرة على تدمير كل امورنا خاصة إذا علم اهلنا بأمر زواجنا فهى الوحيدة القادرة على إخراجنا من هذا المأزق.

- قلت ، ولكنهم سينتقمون منا .

- فاجابت .. كلا إنها تعرف كيف تتخلص من تلك الأزمات دون ان تتعرض لشىء يعكر صفوها ثم لا تنس انها معى منذ اربعة سنوات وهى المسئولة عن إعداد كل شىء فى حياتى.

- ولكن اريد ان نظل معاً دون ان يزعجنا احد .

- تاكد يا مايكل أن جريتا لن تسبب اى إزعاج وسوف تميل لها .

- لا اظن اننى ساميل لها إطلاقاً .

- لا تنس انها تعمل معى وانها ستواجه مشكلات إذا انا تخليت عنها وتركنا هذا الموضوع المستفز لنتفرغ لعبارات الحب والهيام والإعجاب التى لم تنته.

ولكن ما اثار حيرتى هى حياة الأثرياء الباهظة فقد كنا ننفق فى كل مكان دون حساب وهنا شعرت أن الأغنياء لا يعرفون كيف يقضى الفقراء يومهم بل ان الفقراء التعساء ايضاً لا يفهمون كيف ينفق هؤلاء

اللاعبين اموالهم بسهولة ويسر لقد انفقنا اموالاً طائلة لم اكتسبها فى حياتى انفقناها فى عدة ايام يا إلهى ما هذا البذخ ؟ ما هذا الثراء الرهيب ؟!

وفى إحدى رحلاتنا التقينا مع سانتونيكس فى اليونان كان يعيش فى كوخ صغير يملكه احد الصيادين وكان قريباً من البحر وافزعنى هذا الكوخ الكئيب وكان هو مريضاً جدا وقد بادر بالقول وهو يسعل .

- إذن تم زواجكما ..؟!

- فاجابت ايللى .. نعم وسنعيش فى البيت الذى ستبنيه لنا .. اليس كذلك ..؟

ثم التفت نحوى وهو يقول بصعوبة ،

- الرسومات معى هنا .. إنها اخبرتك اليس كذلك ؟

- لقد قالت لك كيف بحثت عنى وأصدرت أوامرها بالعمل .

- فتدخلت ايللى .. لكنها لم تكن اوامر بل كانت مجرد توسلات .

- قلت، هل اخبرتك اننا اشترينا المكان ؟

- فاجاب .. نعم لقد اخبرتنى وارفقت لى بنحو عشر صور .

- فتدخلت ايللى ثانية .. يجب عليك ان ترى المكان بنفسك فمن يدرى لعله لا يروق لك .

- فاجاب .. ولكنى رايته يا فتاتى .. فقد خرجت من قصرى المنيف وقابلنى احد رجالك القانونيين وهو رجل سمين اعتقد انه إنجليزى .

- تقصد مستر كراوفورد ؟

- نعم والواقع اننا بدانا الإجراءات الأولية فى البناء .. اقصد تمهيد الأرض ورفع الأنقاض ووضع الأساس والبنية الأولية الأساسية وسوف أزوركما فى لندن عقب عودتكما إلى هناك .

- واخرج من حقيبته رسومات البيت التى صممها بالألوان المائية كما صمم التركيبات الهندسية وكل ما له بها صلة وقد سألنى :

- هل يروق لك ذلك يا مايكل ..؟

- فقلت بعد تفكير عميق .. نعم هذا ما أردت ان اعيش فيه.

- لقد تحدثت عنه كثيرا يا مايكل حتى عرفت ماذا تريد .. لاحظت منذ عام ان هذا البيت يحركك ويتملكك .. وكنت تتمنى ان ترفع قواعده. كان حلماً كبيرا عسير المنال ولكنه تحقق يا فتاى العزيز .

- فقالت ليللى .. ولكنه سيبنى الأن .. أليس كذلك ؟

- فاجاب .. هذا امر يعود إلى صحتى وما يريده الله لا أحد غيره .

- فسألته .. هل صحتك فى تحسن يا سيدى ..؟

- الحقيقة ان صحتى ليست فى تحسن كما ترى .

- دعك من هذا يا سنتونبكس ان العلاج موجود ولا تكترث بكلام الأطباء الملاعين قساة القلوب.

- اننى معجب بتفاؤلك يا مايكل ولكن صحتى تتدهور كل يوم عن سابقه .

- فقالت ليللى ، انت رجل شجاع

- كلا .. لست شجاعاً .. ثم ما دور الشجاعة أمام الموت ؟

- وغادرنا المكان بعد ان افرغنا المهندس بنصائح سخيفة عن معنى الحياة والأموال وقد ظهر لى ياسه من الحياة .. وكراهيته للناس وللدنيا حيث باح بانه من السهل عليه وهو يعرف انه سيموت بعد شهور قليلة انه يتمنى ان يقتل بعض الناس وحين اخبرته انه سيحاكم وسوف يكون سجينا ما تبقى له من عمر. فاجاب فى حدة يسجوننى كم شهر لأننى من الممكن أن

اموت بعد ستة شهور واحقق ما اود ان احققه . كان مخيفا مرعبا وما فى شك ان هذا الخوف قد انتقل بدوره إلى اوصال ليللى التى تملكتها رعشة رهيبة .. وهى تقول اثناء عودتنا بالسيارة ..

- الم اقل لك اننى اخاف من هذا الرجل .

- فقلت .. ولماذا تخافين منه ؟

- قالت .. ألم تسمع ما قاله ؟ إنه يرغب فى ممارسة القتل.

- لا عليك فهو فى حالة حرجة وقد اصابته لوثة .

- اخشى يا مايكل .. اخشى ان يذبحنا انا وأنت.

- ولماذا سيفعل بنا ذلك .. انت تثيرى خوفى يا ليللى .

- تخيل يا مايكل لو ان هذا الرجل قد فرغ من بناء البيت ثم دخل معنا واغلق ابوابه التى يعرفها جيدا ثم ذبحنا .

- فقلت .. وانا اشعر بالخوف مما تقول ،

- اوه .. إنها لعنة الفجر التى اصابت ظنونك وخيالاتك يا ليللى .

- كلا .. بل اشعر انها حقيقة .. حقيقة يا مايكل .

الفصل العاشر

اثناء تجوالنا بالسيارة فى شوارع العاصمة اثينا وامام احد الفنادق الفخمة الشهيرة اندفعت إحدى السيدات نحو ليلى وقد احتضنتها وصافحتها وتبادلا معاً أطراف الحديث السريع كانت هذه السيدة ضمن احد الأفواج السياحية وارادت ان تختم حديثها للحاق بالفوج الذى بدأ يختفى من أمام عينيها .. ولكن سمعت من حديثها بعض الكلمات التى تعبر عن الدهشة من هذا اللقاء العجيب والذى جاء على هذا النحو .

- أوه .. يا إلهى انت ؟ لم أكن اتخيل هذا ليلى جيوتمان؟ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ حقاً إنها مفاجاة ؟ هل جئت ضمن فوج سياحى؟

- فأجابت ليلى كلا جئت هنا منذ أيام بمفردى.

- انا سعيدة لرؤياك يا ليلى وماذا عن صحة كورا ؟ هل هى معك هنا؟

- هى بخير .. ولكنها الآن فى سالزبورج .

- حسناً .. حسناً ..

وفجأة كأن هذه المرأة قد انتبهت لوجودى فقد رمقتنى بنظرات تساؤل ودهشة حتى ان ليلى قد فهمت على الفور مغزى هذه النظرات فقالت لها ،

- آه .. نسيت ان اقدم لك مستر روجرز وهذه مسز بنجتون. وسألتنى هذه السيدة فى كلمات سريعة رشيقة.

- كيف حالك يا مستر روجرز ؟ هل ستبقين هنا بضعة أيام اخرى ؟

- ولم أشأ ان أجيب فلم تترك فرصة للإجابة التى كانت من نصيب ليلى التى قالت لها .. كلا .. كلا إننى راحلة غداً .

- اود .. عفوا يا ليللى يجب ان اتركك الآن حتى لا افقد الفوج الذى ارافقه .. كم كنت اتمنى ان التقى بك هنا مرة ثانية لتناول الشراب .

- وانا ايضاً كنت ارغب فى ذلك ولكن ضيق الوقت يحول دون إتمام لقائنا واستأذنت السيدة فى الانصراف وانطلقت كالسهم نحو الفوج السياحى وهبطنا درجات سلم الفندق بعد انا كنا قد صعدنا عليه عدة درجات وقد قالت ليللى .

- حسناً .. هذا اللقاء سوف يحسم الأمر .

- اى امر تقصدين يا ليللى .

- لا عليك .. فانا افكر الآن فى ان اكتب خطاباً الليلة إلى كورا وللعم فرانك وللعم اندرو ايضاً .

- سمعت عن كورا وفرانك ومن يكون إذن العم اندرو هذا الذى لم اسمع عنه؟

- هو اندرو ليبنكوت .. والحقيقة انه ليس عمى لكنه الوصى على تركتى او المحامى المسئول عن إدارة املاكى لحين بلوغى سن الرشد وهو محامى مشهور بل من اشهر المحامين على الإطلاق .

- وماذا ستقولين لهم فى خطابك ؟

- سأقول لهم الحقيقة .. حقيقة زواجى منك الم تلاحظ اننى انكرت صفتك كزوج امام مسز بنجتون وهو ما المنى حقيقة.

- ولماذا لم تخبريها اننى زوجك يا ليللى ..؟!

- كان عسيرا على نفسي ان اخبرها قبل ان يعلم اهلى بذلك وإلا كانت فضيحة مدوية تصيبهم فى مقتل خاصة إذا علموا بامر زواجى من احد غيرى والمفروض ان يعرفوا بحقيقة الأمر منى اولا ثم إننا قضينا وقتا طويلا ممتعا ولنستعد للمعركة القادمة .

- ولماذا تتوقعين انها ستكون معركة ..؟

- بالطبع يا مايكل فإنهم سوف يثورون ويننددون ويفتعلون المشاكل معى ولكن تأكد اننى لا اعبأ بأمرهم وإن كنت أظن انهم سيتظاهرون بالحكمة حتى نلتقى معهم فى نيويورك فهل انت مستعد لهذا اللقاء ؟

- كلا .. انا لا اميل إلى عقد هذا اللقاء المشحون بالتوتر .

- إذن ينبغى ان ادعوهم للمجىء إلى لندن للقائك.

- كلا .. فانا لا اريد ان التقى باحد منهم .

- سنعود إلى إنجلترا وسوف نلتقى بهم ولا تعبأ بهذا اللقاء يا مايكل .

- اعبأ بماذا ؟ تقصدين افراد اسرتك ..؟

- نعم وارجو منك الا تهتم بما سيقولونه لك .

- يبدو ان هذه هى ضريبة زواجى منك فاطمئنى فسوف اتحلى بالصبر ثم قالت ليللى بعد فترة من الصمت الذى خيم علينا .

- ثم لا تنس ان والدتك هناك ويجب ان التقى بها.

- استحلفك بالله يا ليللى الا تفكرى فى هذا اللقاء معها فأين هى من امك .. فأمى فقيرة وامك ثرية .. لن تستطيع امى ان تتحدث معها فى اى شان فلا داعى لأن تسببى لها حرجاً لا تقوى على مجابهته.

- مايكل .. إن كورا ليست امى ولكنها زوجة ابى وبالتالى فلا ضرر من هذا اللقاء .. ثم ارجو الا تزعجك الفوارق الطبقية بيننا يا مايكل .

- فقلت بعد ان تضايقت من العبارة الأخيرة .

- انا.. ؟ لا اعرف ماذا اقول هل عندك مصطلح امريكى للرد على هذا الكلام إننى حتى الآن لا اعرف اى الملابس ارتديها عند كل مناسبة .. كما لا ادرى كيف اتصرف داخل هذه المجتمعات .

- لماذا لا يروق لك لقائي مع أمك .

- دعى امي وشانها فهي تختلف تماماً عن أسرتك ارجوك يا ليللى .

- كلا .. إننى يجب ان ازورها عند عودتنا إلى بريطانيا .

- فصرخت اقول .. كلا .. كلا .. لن يتم هذا اللقاء ..

- ولم لا .. إنها وقاحة منى إذا لم ازورها يامايكل ماذا ستقول هى عنى ؟

- انا لم اخبرها بامر زواجي .

- لماذا ترفض ان تخبرها يا مايكل ..؟

فسكت ورفضت ان اجيب عن سؤالها وقد عادت تقول ،

- اليس من الأفضل ان تخبرها بشأن زواجى منك وان تعدها بلقائى معها .

- كلا .. كلا ..

وتمالكت ليللى اعصابها بينما كنت ابدو هائجاً فقالت مرة أخرى ،

- لماذا لا ترغب فى إتمام هذا اللقاء ..؟!

ولم اعرف كيف افسر لها موقفى من هذا الأمر السخيف حتى قلت ،

- إن امى سوف تسىء معاملتك وستجلب لك المتاعب ولا داعى لذلك فهمت .. قالت تقصد انها لن تميل إلى ؟

- كلا .. فمن يراك يجب أن يشعر بالميل والحب نحوك وهذا لا اخشاه ولكن اخاف أن تقسو فى معاملتها نحوك فينبغى الا تنسى انى تزوجتك دون ان اخبرها بذلك وهى من الجيل القديم الذى لا يقبل ذلك بل ولا يصفح ابدا عن هذا الخطا .

- فى ظنى ان هذا الأسلوب فى الوقت الحاضر قد عفا عليه الزمان

- انت واهمة يا ليللى .

- نعم .. هذا صحيح ولكن ترفض والدتك ذلك إذا انت ارتبطت بفتاة فقيرة لا تشد ازرك او تساعدك على اعباء الحياة .

- تقصدين اننى فزت بامراة غنية لذلك لن تعترض .

- نعم يامايكل .. فالمال هو الذى يثير إعجاب كل الناس واحترامهم ولا يبحثون عن مشروعيته ومصدره.

- وانا اوافقك فى ذلك يا ليللى فهذا ما اؤمن به فعلا . ولكن على اية حال لا داعى لزيارة امى .

- ولكننى ارى انه امر سخيف الا اذهب لزيارتها .

- كلا .. انا اعرف امى اكثر منك إنها غليظة وعنيفة.

- ولماذا لا تخبرها بأمر زواجنا ..؟

- لك ما تريدين .. سوف ابعث لها بخطاب عاجل بهذا الشأن . وبالفعل فقد بعثت بخطاب لأمى جاء فيه ،

"امى العزيزة .. اعرف اننى كنت وقحاً فى عدم إبلاغك عما قمت به منذ ثلاثة اسابيع .. لقد تزوجت يا امى وقد حدث ذلك فجاة وعروستى فتاة جميلة جدا وعلى جانب واسع من الثراء ورقيقة إلى ابعد مما تتخيلين وسوف نعود إلى لندن لبناء بيت فى الريف ولكننا الآن فى أوروبا لقضاء شهر العسل .. تمنياتى لك بالسعادة والصحة .. ابنك المخلص مايكل".

وكانت مفاجاة لى بحق ان اتلقى خطابا من والدتى ردا على رسالتى إليها وكتبت تقول، "عزيزى مايكل .. اسعدنى خطابك.. اتمنى لك موفور السعادة .. أمك التى تحبك دائماً" . وسرعان ما تلاشت سعادتى بهذه الرسالة

الرقيقة التى لم اكن اتوقعها فقد انقلبت الدنيا على كاهلى انا وليلى حيث بدات الصحف البريطانية كعادتها فى سرد قصة زواجنا الأسطورية وبدات التقارير الصحفية الكاذبة تتحدث عنا باشياء غريبة لم تحدث كلها تشير إلى الأميرة الهاربة التى هى زوجتى مع شاب صعلوك هو انا وهذه هى عادة الصحفيين الإنجليز الملاعين الذين يعشقون سرد القصص الخيالية الملتهبة لتوزيع صحفهم ولكن لم نعبا بذلك فقد كان شغلنا الشاغل هو امر أسرة ليلى الذى نخشى منه وعلى الفور حال عودتنا إلى لندن التقى بنا العم اندرو لينتكوت الوصى على ليلى وقد كان رجلاً طويل القامة خشن الطباع .. وسيم يتحدث بإنجليزية طليقة يتحلى بالرقى عند حديثه مع ليلى عرفت انه من مواليد بوسطن الأمريكية، ولاحظت ان ليلى كانت منفعلة بعض الشىء وإن تظاهرت بالتماسك امامى وبدا الرجل فى حديثه الراقى وهو يخاطب ليلى ،

- ما هذا يا ليلى .. إنك اكثر من رائعة بل انت قد ازددت جمالاً وبهاءً .

- كيف حالك يا عمى ؟ وكيف جئت إلى هنا؟

- جئت إلى هنا بالباخرة كوين مارى وكانت رحلة جميلة رائعة اهذا هو زوجك يا ليلى .

- نعم يا عمى .. هذا هو مايكل روجزر زوجى .

ونهضت من مكانى لأرحب به وانا اقول .. اهلاً بك يا سيدى .. كيف حالك ..؟

ثم سالته هل يرغب فى شراب شيئاً ما إلا انه رفض وراح يجلس فى مكان قريب منا وزاغ بصره علينا طويلاً وهو يقول ؛

- الا تعرفان .. انكما تسببتما فى مشكلات عديدة لنا جميعاً .

فاجابت ليلى .. اشعر بذلك وانا فى خجل واتاسف لكم يا عمى .

فقال اندرو ، اتشعرين بالأسف حقاً .. ؟

- نعم الا تشعر انت بذلك يا عمى .. ؟

- انا لا اوافق على هذا الأسلوب يا ليلى ..

- ولكنك تعرف اى اسلوب آخر كان يمنعنى من تحقيق رغبتى وسوف يعارضون إتمام زواجى من مايكل .

- ولماذا كانوا سيعترضون ..؟

- انت تعرفهم جيداً يا عمى بل انت ايضا كنت ستقف ضدى

- لقد وصلنى خطابان من كورا منذ ان عرفت الأمر .

- ثورة كورا امر متوقع وهذا طبيعى فى مثل هذه الأحوال

- ولكننى حرة .. فيما اصنع اتزوج ممن اشاء وارفض من اشاء .

- هذا رايك .. ولكن ذلك ليس من السلوك القويم لأى فتاة يبدو انى سببت متاعب لكم بالفعل .

- نعم هذا صحيح . ولقد ساعدك فى ذلك شخص كنا نثق فيه .

- اعرف من تقصد ولكننى قد بلغت سن الرشد

- لا تنس ان الخدعة بدات قبل بلوغك سن الرشد .

- فتدخلت وقلت ، لا ينبغى ان تلوم ليلى يامستر اندرو فانا اجهل كل شىء عن معيشتها وحياتها اثناء تلك الفترة التى اشرت إليها حيث كان جميع افراد اسرتها خارج لندن وتعذر علىَ الاتصال بهم فاجاب اندرو .. لقد خدعتنا جريتا التى ارسلت بخطابات مزودة بمعلومات خاطئة لتضليل كورا رضوخاً لأوامر ليلى، وهل التقيت مع جريتا يامايكل..؟!

- كلا .. لم التق بها إطلاقاً .

- فنظر مندهشا .. كيف وقد كنت اظن انها حضرت مراسم زواجكما .

- فقالت ليللى : نعم لم تكن حاضرة معنا .

- وحدق مستر اندرو بعينيه فى وجهى حتى اننى شعرت بالارتباك وقال بعد لحظات .. اظن ان عليكما ان تتحملا توبيخ الأسرة بصبر وهدوء فاجابت ليللى .. اتوقع ان صاعقة ستحل علينا من جانبهم .

- فقال اندرو .. هذا امر وارد ولكننى قد هيأت لكما الأمر وأوضحت الصورة فاجابت ليللى .. إذن انت فى صفنا يا عمى .. ؟

- فقال الرجل .. من الصعب على رجل فى سنى ان يعترض على امر واقع . خاصة إذا كان نتاج قصة حب ملتهبة، وقد علمت انك اشتريت قطعة ارض فى جنوب إنجلترا وإنك سترفعين عليها قصرا فارها ..

- فقلت : نعم إننا نريد أن نقيم فى بريطانيا فهل هناك اعتراض لذلك ان ليللى قد تزوجتنى وبزواجها اكتسبت الجنسية الإنجليزية ولا يوجد ما يمنع وجودها معى فى إنجلترا .

- فاجاب : نعم ليس هناك مانع إطلاقا .. فهى تستطيع ان تختار ما يروق لها كما يجب ان يكون لها بيت فى كل دولة .. ثم ألا تعرفين يا ليللى ان لك بيتاً فى ناسوكما ..؟

- كلا انا أعرف انه ملك لكورا .

- انت صاحبته شرعياً بل ولديك بيت آخر فى لورنج ايلاند .. بل وتملكين عددا كبيرا من حقول البترول فى الغرب .

كنت اشعر ان اندرو يريد ان يفهمنى حقيقة ثرائها الفاحش من أجل ان يسيل لعابى وإلا لماذا راح يسرد كل ممتلكاتها أمامى عامدا . قد يظن اننى ساسعى للحصول على النفقة كما يفعل غيرى لا اعرف ثم إننى لست واثقاً

من نواياه فربما كان يريد ان يثير اعصابى كرجل فقير طامع فى ثروة زوجته .. ربما أراد ذلك .

ونهض من مقعده ومعه حزمة أوراق ومستندات قانونية وهو يقترب من مقعد ليللى وهو يقول كل هذه الأوراق يجب أن ندرسها معا للتوقيع عليها .. فاجابت ليللى .

- نعم .. فى اى وقت تحب يا سيدى ..؟

- لا داعى للتسرع .. فانا فى اجازة هنا لمدة عشرة ايام .

- فتضايقت .. عشرة ايام سيظل هذا الرجل يلاحقنا يا إلهى .. ثم انه لم يظهر إعجابه بشخصى وقد بدا لى خصماً إلا إذا كان من الرجال الذين لا يظهرون إعجابهم لأحد واثناء شرودى سمعته يقول لليللى ..

- والآن بعد أن تفاهمنا على خطواتنا القادمة يجب ان تحدث مع زوجك .

- فقالت ليللى : يمكن ان تتحدث معه هنا .

- ولاحظت انها منفعلة على غير عادتها وقلت لها مطمئنا .

- لا عليك .. لا تخافى يا ليللى .. لست صغيرا هكذا يا حبيبتى ..

- ورافقتها إلى غرفة نومها .. وانا اقول لها بصوت خافض .

- إن العم اندرو يريد ان يتحقق من صدق نيتى فى الزواج منك ليجمع رأياً عاماً حول شخصى واظن ان هذا حقه .

وقفزت إلى فراشها قلقة وعدت انا إلى غرفة الضيوف الفسيحة لأجلس على مقعد امام اندرو لأصغى لأسئلته المنتظرة وقد بدات قائلا

- تفضل .. يا سيدى انا كلى اذان صاغية .

- فقال فى ادب .. اشكرك يا مايكل .. قبل ان اتحدث عليك الا تظن اننى خصماً لك كما ظننت .

- قلت .. اشكرك ويسعدنى سماع ذلك .

- فقال .. دعنى اكون صريحاً معك .. وقد تكون صراحتى معك باكثر من صراحتى مع هذه الفتاة الرقيقة التى تفيض بالطيبة والحنان والرقة.

- اطمئن يا سيدى فانا ايضاً احبها مثلك وربما اكثر .

- نعم اعرف ذلك ولكنى ينبغى ان تعرف انها سريعة العواطف والتأثر .

- إنها رائعة يا مستر اندرو وانا ساعرف كيف ساتعامل معها .

- ليس هذا ما قصدته .. إنما كنت اتمنى ان تتزوج هذه الفتاة باختيار من خلال اسرتها ومن نفس مركزها الاجتماعى .

- فقلت .. فهمت تقصد شاباً نبيلاً .

- كلا .. ليس هذا فقط .. بل من نفس طبقتها ومن نفس مستواها الثقافى والاجتماعى ويكون جديراً ومع ذلك عليك ان تعرف ان جدها بدا حياته عتالاً فى الجمرك ثم مات وهو اغنى رجال العالم .

- فقلت ، ربما استطيع ان اسلك منهجه وقد اصير فيما بعد اغنى اغنياء بريطانيا .

- كل شىء جائز إذا توافر لديك هذا الطموح .

- لا اقصد المال يا مستر اندرو بل اقصد اشياء اخرى .. اقصد ..

وتوقفت عن الكلام بدون سبب حتى بادرنى قائلاً ؛

- جميل منك ان تكون طموحاً .. هذا امر حسن.

- إننى بدات بداية غريبة .. من قاع السلم وكنت نكرة لا امثل شيئا .

- حسناً يا مايكل .. احب فيك صراحتك ووضوحك فانت تعلم اننى مسئول عن ثروة إيللى التى حملنى إياها جدها قبل ان يموت لهذا فانا حريص على سماع الشخص الذى تزوجته واعتقد ان هذا لا يزعجك .

- نعم هذا حقك .. بل يمكنك ان تتحرى عنى لتعرف كل شىء .

- سافعل ذلك فهو إجراء طبيعى وإن كنت ارغب فى سماعك فانا احب ان استمع إلى كل ما فى حياتك .

والحق اننى شعرت بالضيق فإذا تحدثت عن نفسى فسوف اذكر كل ما فى نفسى من خصال المروءة والخير وهذه صفة لازمتنى منذ صغرى .

فهل افعل كما يفعل نجوم المجتمع فى إظهار تواضعهم وحياتهم العسيرة وكيف بلغوا قمة المجد والشهرة ام اذكر له طبيعة اعمالى التى اشتغلت بها ام احكى له قصصى الغرامية مع فتيات لندن لاتفاخر بها ام اذكر له كوامن الشر فى داخلى ام ابرز النقاط المضيئة التى تشع فى عقلى وقلبى ؟ اعتقد ان هذا خيراً لى وقد انجح فى كسب ثقته ولكن بعد تردد ذكرت له الحقيقة وبدات بما هو شائن فى حياتى فقلت له.. كان والدى عربيداً مخموراً من شراب الكحوليات ووالدتى امراة مكافحة فى الحياة قامت على تربيتى وتعليمى واننى ذقت الجوع والمرار والعذاب بسبب كراهيتى للاستقرار فى اى عمل دائم . كان اندرو هذا يسمع ويدون ملاحظاته ثم يعود فيسال فى دهاء وذكاء لعلى اقع فى الفخ الذى دبره لى والحقيقة اننى كنت فى غاية الحذر والحيطة منه ونجحت فى إفشال مخططه ثم راح يقول لى ؛

- إنك كما سمعت تعشق المغامرات يا مايكل .. حدثنى إذن عن قصة البيت الذى تنوى بناءه مع إيللى .

- إنه يقع بالقرب من مدينة تسمى ماركيت شادويل .

- اعرفها .. وقد ذهبت لرؤيته امس فقط .. وعرفت انه رجل غريب الأطوار يعشق هو ايضاً ممارسة دور رجال الشرطة وقد قلت له فى اقتضاب.

- انه مكان جميل .. وسوف يكون بيتاً رائعاً سيبنيه لنا المهندس العبقرى سانتونيكس فقاطعنى اندرو وهو يقول ، اعرفه انه مهندس مشهور جدا .

- هل بنى قصوراً فى الولايات المتحدة الأمريكية ؟

- نعم وهو مهندس عبقرى ولكن المشكلة ان صحته ليست على ما يرام.

- نعم وهو يظن انه اوشك على الموت وقد اخبره الأطباء بذلك وان كنت اتوقع له مزيداً من العمر الطويل .

- اتمنى ان يكون تفاؤلك فى محله .

- وانا فعلاً اتمنى له موفور الصحة والعافية .

- على اية حال فهى صفقة رائعة انها اراضى جميلة يا روجرز وقد تشاورت مع مستر ادفورد بشأنها،

- فقلت متعجباً .. مستر ادفورد ؟

- نعم .. المستشار بمكتب ريس وكرافورد للاستشارات القضائية والقانونية وهو الذى عقد الصفقة وهو للعلم محامى مشهور وقد اكد لى انه اشتراها بثمن ضئيل وحين سألته عن سبب بخس ثمنها ارتبك بعض الشىء فهل عندك جواب لهذا الارتباك يا مايكل ؟

- فقلت ، يقال ان هناك لعنة تطارد هذه الأراضى المملوكة للغجر .

- فاعتدل فى مقعده وهو يقول .. عفواً يا مايكل .. ماذا تقصد ؟

- يقولون ان هناك لعنة تطارد كل من يزور هذا المكان او ينوى الإقامة فيه وهى لعنة معروفة باسم لعنة الغجر .

- هل هناك قصص مؤكدة تتعلق بها .. ؟

- نعم هناك قصة رجل اطلق النار على زوجته وعلى رجل اخر وهناك حوادث قتل كثيرة تقع فى هذا المكان إلى جانب حوادث السيارات الكثيرة .

- اظن انها قصة من مأثورات الريف الإنجليزى الشهيرة ولكن لماذا لم تخف انت وايللى من هذه الخرافات ؟

- نحن لا نصدق هذه الأساطير والخرافات .. فقد سعدنا بشراء هذه الأراضى بهذا الثمن .

- وانا مثلكما لا اعتقد فى هذه الخرافات وسوف يكون بيتكما جميلا ورائعاً .

- ولكن اتمنى الا يترامى إلى مسامع ايللى كل هذه الأساطير .

- ساحرص من جانبى على ذلك .

- ارجو ذلك فإن ايللى ليست قوية الأعصاب مثلك. وانتقل الحديث بنا إلى موضوع آخر وبدأ اندرو القول وهو ينقر بأصابعه على المائدة القريبة منه.

- والآن سانتقل بك إلى موضوع شاق .. انت تقول انك لم تلتق مع جريتا اندرسون .

- نعم لم التق بها كما سبق وأن ذكرت لك .

- اليس هذا غريباً .. بل وغريباً جداً ؟

- ولماذا يبدو ذلك غريباً ..؟

- ظننت انك تعرفها .. فماذا إذن تعرف عنها ؟

- كل ما اعرفه عنها انها قضت وقتا طويلاً مع ايللى كوصيفة لها .

- قد لا تعرف انها جاءت وايللى عمرها ١٧ عاماً فقط للجلوس معها ومرافقتها حال غياب زوجة ابيها عن المنزل وهى فتاة من عائلة طيبة معها شهادات ممتازة بدأت عملها معنا فى امريكا وهى نصف المانية ونصف سويدية وقد احبتها ايللى كثيرا .

- فقلت .. هذا ما لاحظته جيدا يا سيدى .

- هل لاحظت ان ايللى متعلقة بها جدا وهل اشارك هذا الأمر ؟

- كلا ولماذا يثيرنى ذلك .. صحيح اننى كنت متضايقاً فى اول الأمر ثم بعد ذلك شعرت ان الأمر لا يستحق هذا الأسى والألم فهذا لا يعنينى فى شيء.

- ومع هذا فقد رفضت ان تلتقى انت مع جريتا..؟

- كلا .. فقد اقترحت ذلك اكثر من مرة وقد انشغلنا بعيدا عن هذا الموضوع .

- هل اقترحت ايللى ان تحضر جريتا زواجكما ؟

- نعم اقترحت ذلك .

- ولماذا لم تحضر جريتا إذن حفل زواجكما..؟

- لا اعرف سبب ذلك وإن كنت سررت لعدم حضورها فانا اشعر انها تتصرف فى كل شيء وتلجأ كل الحيل والخدع بمباركة من ايللى لهذا كنت سعيدا لعدم حضورها فقد شعرت انها تزاحمنى فى حب ايللى .

- إننى افهم .. افهم ما تقصد يا مايكل .. وانت فى ذلك على حق فقلت فى دهاء .. اظن انك ايضاً لا تميل إلى جريتا يا سيدى .

- لا ادرى كيف تقول "انت ايضا" مع انك تزعم انك لم تلتق بها من قبل .

- قلت لك إننى لم التق بها من قبل .. ولكن تمكنت من تكوين صورة لها من كثرة ما سمعت عنها على لسان ايللى . وقد تكون هذه غيرة منى ولكن لماذا لا تحبها انت ؟

- لأن جريتا تسيطر على ايللى وهى امرأة كما تبدو لى تعتز بنفسها ولها نفوذ غير مرغوب فيه.

- هل تتوقع انها ستعمل على نسف العلاقة بيننا .

- لا ادرى ولا يحق لى ان اخوض فى مثل هذه المسائل . وراح ينظر لى فى دهاء الثعلب يتظاهر بالنوم وهو يقظ متاهب ليقول .

- هل اقترحت ايللى عليك ان تعيش جريتا معكما ؟

- هذا اقتراح مرفوض لن يحدث إطلاقا .

- إذن اقترحت ايللى عليك ذلك؟

- قد تاتى للإقامة معنا وقتا قصيرا فى بداية تأثيث بيتنا ثم سترحل بعدها .

- المشكلة ليست فى بقائها معكما ولكن فى هؤلاء الذين كانوا يثقون فيها وخانت ثقتهم.

- هل تقصد انكما ستطردونها ولن تعطوها اى شهادة للحاق بوظيفة اخرى !

- لن يحدث ذلك إلا من خلال إطار قانونى .

- وهل تتصور انها ستاتى إلى إنجلترا للإقامة معنا؟

- لا احب ان اتحدث فى شىء لا اعرفه .. ولكن الذى اتوقعه ان زوجتك رقيقة القلب ولن ترض على تشريدها وتحطيم مستقبلها .

لا اتوقع ان تتمسك ليللى بها ولكن قد تمنحها معاشا يكفيها .

ولا تنس انها شابة جميلة .. فاتنة

- ولماذا لم تتزوج حتى الآن ما دامت جميلة كما تقول .

- المفروض ان تفعل ذلك كما ان المفروض ان تمنحها ليللى معاشا يكفيها عرفانا بالجميل .

لا مانع فى ان تفعل ليللى ذلك .

- ولكن هل تتصور يا مايكل ان جريتا ستوافق على ذلك ..؟!

- ولماذا ترفض ..؟

- اظن ان جريتا ستقبل الصداقة مع ليللى ولن تضحى بها من أجل معاش ضئيل .

- هل تتوقع ... ؟!

اتمنى الا تفعل ذلك حتى تتحرر ليللى من قيودها .. ونهض مستر اندرو وهو يقول .. ارجو منك مساعدتى فى التخلص منها .

انا ايضا اتمنى التخلص من وجودها معنا .

- اخشى ان تغير رايك إذا وقع بصرك عليها .

لا اعتقد فانا اكره المراة الذكية المتسلطة مهما بلغت درجات جمالها وانوثتها

- شكرا لك يا مايكل على هذا الإصغاء الطويل وارجو ان تقبل دعوتى لحضور تناول العشاء معى انت وزوجتك يوم الثلاثاء القادم ربما تحضر كورا و فرانك وستويفيزانت اثناء العشاء .

- ارغب فى مقابلتهم .

- هذا أمر لابد من إتمامه

وابتسم ابتسامة صادقة تخلو من الخبث والدهاء واستطرد يقول .

- يجب الا تخاف منهم حتى لو اغلظت كورا القول معك وكذلك ان فعل فرانك اما روبن فقد يتغيب عن الحضور .

- لا اعرف من يكون روبن هذا هل هو قريب ليللى ؟ لا اعرف .

- ومشيت نحو غرفة ليللى وانا اقول لها انهضى ياليللى لقد انتهى التحقيق وجاءت ليللى وهى تنظر إلينا ثم اتجهت نحو اندرو وقبلته على وجنتيه قائلة .

- ايها العم اندرو .. هل راق لك مايكل .

- نعم يا عزيزتى .. ولكنكما فى حاجة إلى نصائحى وخدماتى فى المستقبل لأنكما صغيران .

- نعم .. وسوف نصغى إليك فى اهتمام وصبر بالغ .

- والآن اسمح لى أن اتحدث معك قليلاً يا ليللى.

- فقلت ، إذن حان دورى الآن للخروج ومضيت إلى المخدع بعد ان اغلقت الباب فى حرص شديد بحيث لا يكون إغلاقا كاملاً فانا اود ان استرق السمع حتى أعرف هل هذا الرجل ذو وجهين ام لا ؟ وسمعت انه حدثها بشأن جريتا ومعاشها وزيادة مخصصات كورا فأجابت بالإيجاب إلا انه عاد وقال لها لا داعى لزيادة مخصصات كورا فيكفيها امتيازاتها التى تتمتع بها من ازواجها

السابقين ومن ثروة جدك ثم إنه لا يوجد قانون يدعوك إلى زيادة مخصصاتها ولكن يمكنك ان تعطيها معاشاً إضافياً تستطيعين تجميده متى تشائين إذا استمرت هي في تغليظ القول وإشاعة الفوضى في حياتك مع مايكل. وقد اجابت ليلى . اعرف ان كورا تحقد عليّ دائما ثم سألته في خجل .. هل احببت مايك يا عمي ؟ فقال لها إنه شاب وسيم جذاب وأستطيع ان افهم سبب زواجك منه . والحق ان اندرو كان مجاملاً وكريماً معي وهم الرجل بالانصراف ونادت ليلى بأعلى صوتها لأودع ضيفنا وسرعان ما اقبل احد الخدم .حاملاً برقية تسلمتها ليلى فصرخت في سعادة .

- اوه .. إنها جريتا قادمة إلى لندن الليلة وستحضر هنا غدا .. ما أجمل ذلك ..

وكان مستر اندرو مازال واقفاً معنا، ولاحظت الوجوم باديا على وجهينا وقد سمع احدنا يقول .. هو ذلك بينما الآخر قال بالطبع .

الفصل الحادي عشر

في اليوم التالي نهضت من فراشي مبكرا لشراء بعض الحاجيات وتركت ليلى مستغرقة في النوم وعدت عند الظهيرة لأجد جريتا تجلس مع ليلى إنها فتاة جميلة كما قال لي اندرو ومليحة كما قالت ليلى لكنها اجمل مما وصفوها فهي ممشوقة القوام ذات عيون زرقاء واسعة جذابة وشعر اصفر تكوم على راسها ورشاقة تثير شهية الرجال إنها بالفعل تجمع بين جمال بنات السويد وانوثة الألمانيات .. إنها بحق فاتنة .. رائعة واقتربت منهما وهما يتبادلان اطراف الحديث الهامس بينهما وقد نهضت ليلى وهي تقول:

- اخيرا يا مايكل .. ها هي جريتا اقدمها لك .

- انا سعيد لرؤياك يا جريتا (قلت ذلك وانا احاول إخفاء ضيقي من وجودها) .

- وقالت ليلى .. لعلك تعرف ان لولا دورها الخطير لما تم زواجنا إطلاقـ

- فقلت .. بل كان سيحدث بأساليب أخرى .

- كلا لم تكن ستتمكن من التصرف بدونها .

والتفتت نحو جريتا وهي تقول في لهفة ..

- ها اخبريني بربك .. ماذا فعلوا بك هل طردوك ؟ هل حقدوا عليك ؟..

- نعم حدث ذلك وقد طردوني بتهمة خيانة الأمانة ولم يعطوني شهادة خبرة تساعدني للالتحاق بعمل اخر . ولكني سعيدة بما فعلت

- ولكن ماذا تصنعين الآن ..؟

- وجدت عملاً سوف التحق به فى لندن كسكرتيرة .

- ولكن هل انت بصحة جيدة وسعيدة؟

- وكيف لا وقد ارسلت لى شيكاً عوضنى عن فقدان وظيفتى .. لقد سافرت كثيرا وطفت ارجاء العالم وعقدت العزم على الاستقرار فى لندن واشتريت اشياءً كثيرة .

- فقالت ليللى .. ونحن ايضاً اشترينا الكثير منها انا ومايك .

- وبالفعل فقد اشترينا اشياء كثيرة من باريس واثينا وروما اشترينا اقمشة ولوحات فنية رائعة وتحف غالية لقد اشتريت ما كنت اتمنى شراءه وقالت جريتا .. الاحظ سعادتكما معاً اليس كذلك .

- لم تشاهدى بيتنا بعد إنه سيكون جوهرة إنه سيحقق احلامنا اليس كذلك يا مايكل ..؟!

- نعم، فقالت جريتا .. لقد شاهدته عقب نزولى هنا فى لندن .

- قالت ليللى ، حسناً

وقالت جريتا .. إنه بيت رائع وصممه مهندس عبقرى عجيب .

فقلت .. حقاً إنه رجل عبقرى وعجيب بالفعل .

- فقالت جريتا .. نعم لكنه مخيف .. مخيف جدا .

- قلت مستغرباً ، مخيف ؟ وكيف ذلك ..؟!

- قالت .. يبدو انه مريض .

- قلت .. نعم هو بالفعل كذلك .

- قالت .. من اى داء يشكو؟

- قلت ، يشكو من مرض السل .

- قالت .. كلا إنه يشكو من مرض فى دمه كما أظن ولكن متى سينتهى البناء ..؟

- قلت .. قريباً .. قريباً جدا .

- فقالت .. اوه .. إنه المال الذى يستطيع ان ينهى كل شىء فى اسرع وقت .

- ما اجمل ان يملك الإنسان مالا يحقق به احلامه .

اما انا فكنت اقدر المال وقوة سطوته خاصة واننى تعلمت الكثير من ليللى واكتسبت الكثير من زواجى منها فقد اختلفت حياتى حقا اختلافا جذرياً لقد كنت فقيرا فقرا معدما وليللى ثرية ثراء فاحش عاشت فى بذخ وترف . ولكن الله قد حقق كل احلامى هاهى امراة جميلة وقصر منيف سيكون حديث الناس جميعاً. وهاأنذا اصبحت لا أخاف من اسرة ليللى وشردت بخاطرى كثيرا فى الرحلات التى قمت بها مع زوجتى والمقتنيات التى اشتريناها معاً والمدن التى زرناها سويا كنت غارقا فى خيالاتى وذكرياتى .. ويبدو أن شرودى قد لفت انتباه ليللى وقطعت ليللى حبل افكارى وهى تصرخ :

- اوه إنه يفكر فى بيتنا .

كانت تريد لفت انتباهى إلى التوجه لحجرة الطعام لتناول العشاء، كان الوقت ليلاً وقمنا بتغيير ملابسنا وفجاة قالت ليللى .

- مايك .. هل تحب جريتا ..؟

- فاجبت .. طبعاً .. طبعاً يا ليللى .

- كنت سأتضايق لو لم تحبها يا مايك .

- ولماذا كنت تظنين اننى اكرهها .

- لست واثقة ولكن لاحظت ذلك فى نظراتك إليها .

- ربما لاحظت ذلك فقد كنت منفعلا .

- منفعل من جريتا ..؟!

- نعم فهى توحى إلى بالخوف والرهبة كالهة الأساطير الاسكندنافية .

- لكنها نحيفة وليست مترهلة مثلهن .

- إنها تتكلف وتتصنع كثيرا فى كلامها وملابسها والواقع اننى لا اميل إليها .

- فاجابت فى غضب .. اوه يا مايك .. ان لدى ذكريات كثيرة معها ثم إنها مالت إليك واحبتك ايضاً واعترفت لى بذلك .

- اسمعى يا إيللى .. كان ينبغى عليها الا تقول ذلك لك .

- كلا .. إنها كالعادة صريحة دائماً معى .

وتذكرت حديث اندرو عن جريتا ونفوذها الطاغى على إيللى ولكن الحقيقة انها كانت رفيقة معى إلى اقصى حد، ولم تكن متصنعة كما قلت بل على العكس كانت بسيطة وواقعية ولكن مشاعرى الدفينة فى كراهيتها لم تبارحنى قط، والحق انها ساعدتنى كثيرا فى الزواج من إيللى ولولاها ما كان قد تم ابدا ولكن شخصيتها الطاغية وضعف شخصية إيللى يثير حنقى وحفيظتى .

كانت جريتا تقف اثناء ذلك فى شرفة الفندق الذى نقيم فيه ولم يترام إلى مسامعها حديثى مع إيللى، ثم جاءت وجلست معنا لتتناول ثمار التفاح وقلت امامها - موجهاً حديثى لإيللى .

- لقد شعرت ان مستر اندرو قد تقبل امر زواجنا .

- فقالت جريتا .. إنه رجل عجوز ولكنه ثعلب .

- فتدخلت إيللى .. إنك تقولين ذلك دائماً عنه رغم انه رجل ظريف ومخلص فقالت جريتا .. هذا رايك وانت حرة فيما تعتقدين .

- إذن انت لا تثقين فيه .

- اجابت جريتا .. نعم .. رغم انه يتحلى بالوقار والاحترام ومنظره يدعو للثقة .

فقاطعتها إيللى وهى تضحك .

- هل تقصدين انه غير امين على ثروتى ؟ لا تكونى سخيفة يا جريتا هناك حشد من الاف الموظفين يتولى هو تدبير شئونهم .

فقالت جريتا .. ربما يكون اميناً لكن اظن انه من هؤلاء الذين يختلسون إذا لاحت لهم الفرصة .. وقد يظن الناس بهم خيرا ثم يفاجاون بأمره المشين . فقالت إيللى .. قد ينطبق هذا الكلام على العم فرانك فهو من هذا النوع الذى يختلس بالفعل ولا يرفض الإقدام على ذلك .

فاجابت جريتا معلقة .. اوه .. إنه اشبه باللصوص والنصابين لكنه يحمل قلب طفل ولا يستطيع ان يفعل ذلك ابدا رغم مظهره الحقير فسالت إيللى بدورى مقاطعاً كلامها مع جريتا .

- اهو شقيق ابيك يا إيللى .

- فقالت .. إنه زوج عمتى وهجرته وتزوجت بغيره وماتت منذ سبع سنوات وظل هو على علاقته بنا منذ زواجه منها .

وتدخلت جريتا تقول وكانها ارادت مساعدة إيللى فى حديثها إنهم ثلاثة .. من الطفيليين المتعلقين بالأسرة .. كان لإيللى عمان مات احدهما فى حادث والآخر قتل فى كوريا اما الثلاثة الطفيليين فهم كورا وفرانك وابن الخال روبين ثم هناك اندرو وستانفورد لويد .

فسالتها مندهشا .. من يكون إذن ستانفورد هذا؟

فاجابت جريتا .. إنه وصى آخر أليس هذا صحيح يا ليللى .

ثم إنه يقوم باستثمار اموالها التى تنمو وتنمو وتتضخم دون تدخل منها لتحمل اعباء ومشقة ومكابرة هذه الأعمال المرهقة .

- فقالت ليللى ، لا عليك بامرهم .. فسوف تلتقى بهم جميعاً عما قريب ولكن لا تهتم بهم فسوف يرحلون على الفور ولن يقيموا معنا إطلاقاً .

الفصل الثانى عشر

وتوافد الجميع علينا فى جناح الفندق الذى نقطن فيه لحين انتهاء اعمال البناء فى بيتنا الجديد.. كانوا يتكلمون بطلاقة بعضهم تظاهر بالرقة وبعضهم تمسك بالتقاليد البالية التى عفى عليها الزمن .

فها هو العم فرانك الذى بدا لى رجلاً سميناً ضخماً مترهلاً مهملاً فى مظهره بعض الشىء وإن دلت تجاعيد وجهه على انه رجل سكير عاشق نساء وقد امنت بما روته عنه جريتا التى تمكنت من تحليل شخصيته بدقة وامانة ويا له من رجل احمق فقد بادر بطلب قرض مالى من اول لقاء جمعنى معه ولم اكن اعرف هل اقرضه واتظاهر بالكرم والجود والعطاء واللامبالاة بالنقود و الأموال أم أرفض إقراضه متظاهرا بالبخل والتقطير اللعنة عليك يا فرانك أيها الأحمق العربيد، أما السيدة كورا زوجة والد زوجتى ليللى فقد لفتت انتباهى إليها حيث بدت امراة قوية تتصرف وكأنها مارى انطوانيت وهى تبلغ من العمر الأربعين عاماً جميلة الوجه ممشوقة القوام تتحدث برقة وعذوبة فتاة مراهقة احمرت وجنتاها من الخجل وقد سمعتها تقول لزوجتى .

- لقد سبب زواجك صدمة لنا جميعاً واعرف أن جريتا هى التى تقف وراءه وقالت لها زوجتى - لا داعى لتقريع جريتا فهى بريئة وأنا المسئول عما حدث .

- حسناً .. ولكن أنت لا تعرفين ثورة الغضب التى اجتاحت رجال الأعمال خاصة ستانفورد لويد واندرو لبينكوت وقد احسوا بإهمالهم لك وهو ما دفعك للتصرف على هذا النحو الأحمق وإن كنت أرى أنهم لم يعرفوا بعد مدى وسامة زوجك ولطفه وظرفه وذكاءه .

والقت كورا نظرة عابرة نحوى مصحوبة بابتسامة زينت بها وجهها والواقع أنها كانت ابتسامة مليئة بالنفاق والتملق وتعبر عن حقد دفين

نحوى واظن ان المحامى اندرو قد أسدى النصح لكورا بان تتحلى بضبط النفس بعد ان اخبرها بعزم ليللى فى بيع ممتلكاتها فى الولايات المتحدة الأمريكية وحرصها على تخصيص معاشاً إضافيا لها خاصة وأنها على وشك الطلاق من زوجها الذى يصغرها بسنوات عديدة حيث علمت انه شاب تتكون ثروته من وسامته ورجولته فقط وهو ما يؤكد انها ستخرج من هذا الطلاق صفر اليدين .. وبالطبع فإن كورا كانت فى أمس الحاجة إلى هذا المعاش خاصة وانها امراة شديدة الإسراف والتبذير وما من شك أن المحامى اندرو قد ألح لها أن هذا المعاش الإضافى يمكن تجميده إذا ارادت ليللى ذلك وهو ما يتطلب منها التصرف معها ومع زوجها بشيء من الحكمة والعقلانية وإلا فقدته فى الحال اما روبين ابن خال ليللى فلم يحضر معهم وقد بعث رسالة إلى ليللى . وكانت رسالة مرحة ولطيفة تخلو من الإساءة أو القسوة وتمنى لها السعادة فى زواجها وقد تشكك من استمرار بقاءها فى لندن وقد أبدى سعادته إذا ما فكرت فى العودة إلى أمريكا فى اى وقت تشاء .

- وهنا علقت لزوجتى ليللى على هذا الخطاب - إنه لطيفا .

- فاجابت .. نعم هو ذلك او قد لاحظت أنها مترددة فى الإجابة على ذلك ثم سالتها . هل تحبين احدا منهم يا ليللى ؟

- فاجابت ، كلا فهؤلاء جميعاً لا تربطنى بهم صلة دم ورحم بل اقارب صهر فقط ولكننى احببت والدى حبا جما وشعرت انه عاش ضعيفا حيث كان يميل إلى ممارسة هواية الصيد فى فلوريدا وقد تزوج كورا فى سن صغيرة اما امى الحقيقية فلا اعرف عنها شيئاً واحببت عمى جو وعمى هنرى فقد كانا يتمتعان بخفة الدم وروح الدعابة والمرح بينما كان أبى هادئاً ساكناً حزيناً على عكس اشقاءه .. لكن عمى جو متهورا مندفعا من اجل كسب المال ومات فى حادث سيارة بينما مات هنرى فى الحرب الأمريكية الكورية اما جدى فقد كان مصدوما نتيجة موت أولاده الثلاثة ولم يكن مغرما بكورا إلى جانب عدم ثقته فى جميع اقاربه البعيدين ولا

حتى بالخال روبين واوقف ثروته للأعمال الخيرية خاصة للمستشفيات والمتاحف الفنية وكل ما صنعه لكورا وقرانك هو معاش ضخم لكل منهما

- ومع ذلك اوصى بالجزء الأكبر من الثروة لك وحدك ..؟!

- نعم كان يخشى علىّ من هؤلاء الذئاب فالقمهم أموالا تردع حياتهم وطرق باب جناحنا ستانفورد ولويد وحمل معه حزمة من الأوراق والمستندات لكى توقع عليها ليللى وهنا شعرت بالعجز عن إسداء النصيحة لزوجتى فانا لا اعرف ماذا اصنع امام هذه المواقف القانونية، كل ما ارغب فيه أن اطلب من الرجل ان يكون اميناً فقط مع ليللى والحقيقة أن مظهر الرجل يدل على انه رجل مال لا يعبا بممارسة اى سلوك أحمق يسيء إلى تصرفاته وشهرته الفائقة فى عالم المال والأعمال لقد كان وسيما جميلا طاعناً فى السن، وشعرت بفرحة حين حمل اوراقه وانصرف وقلت لزوجتى ليللى فى اعقاب رحيله .. اهذا هو آخر المجموعة اللعينة فأجابت وهى تبتسم

- ارى انك لا تميل إلى احد منهم اليس كذلك..؟

- فقلت .. نعم واظن ان كورا زوجة ابيك تتصف بالدهاء والنفاق عفوا يا ليللى .

- ولماذا تعتذر عما قلت .. إنك على حق .. وهذا رايك .

- إنك فتاة مسكينة تشعر بالوحدة دائماً.

- نعم يا مايكل قضيت عمرى كله وحيدة حتى زملاء الدراسة لم يكن لى حق مصاحبتهم وكانوا يفرقون بينى وبينهم متذرعين بالفوارق الاجتماعية ولذلك عشت بدون صديقات حتى جاءت جربتا التى كانت بمثابة ثورة فى حياتى وانقلاب شامل لكل مشاعرى وعواطفى لقد علمتنى جربتا التمرد والطموح والانطلاق .

- يوسفنى يا ليلى انك تشعرين ان جريتا هى عمود حياتك وينبغى ان تتخلصى منها باية وسيلة.

- تقول ذلك .. لأنك لا تميل إليها يا مايكل .

- قلت لها ، كلا .. كلا .. بل انا احبها .. ولكن بصراحة اغار منها لأنكما شديدتا التعلق وهذا يثير مشاعرى بالحقد عليها .

- كفى حماقة .. لا تكن غيورا هكذا يا مايكل إنها الإنسانة الوحيدة التى ساندتنى واهتمت بأمرى واخلصت لى حتى التقيت بك وتزوجتك .

- تزوجتينى وسوف نعيش سعداء معاً إلى الأبد.

الفصل الثالث عشر

حاولت بقدر ما استطيع ان ارسم لوحة فنية تضم جميع افراد اسرة ليلى فى مخيلتى لدراسة احوالهم النفسية لرصد نواياهم نحوى انا وزوجتى خاصة واننى علمت ان هؤلاء خططوا لدخول حياتنا .. نعم كنت ارسم هذه اللوحة وانا اطل من نافذة الغرفة حتى سلمنى الخادم رسالة من المهندس المعمارى سانتونيكس يطلب منا ان ننتظر منه اخبار سعيدة بعد اسبوع وبالفعل بعث لنا برسالة اخرى طلب فيها سرعة حضورنا إليه فى الصباح الباكر .

واسرعنا فى اليوم التالى انا وزوجتى وقد بدات الشمس تميل نحو الغروب وكان سانتونيكس واقفاً لمقابلتنا امام البيت وحين وقع بصرى على البيت رفرف القلب بين ضلوعى طرباً وسرورا وانا اهتف فى داخلى رباه . اهذا بيتى حقاً ما هذا ؟ إنه الحلم الذى تحقق وهنا سالنى المهندس .

- هل اعجبكما ..؟!

- فقلت .. اوه يالك من مهندس عبقرى إنه يفوق كل خيالاتى

- فقال سانتونيكس .. نعم هو اجمل بيت شيدته فى حياتى وقد كلفكما الكثير من المال ولكنه يستحق على كل حال . تعال يا مايكل واحمل عروسك بين زراعيك كعادة العريس دائماً الذى يحمل عروسه إلى بيته الجديد . والحق اننى شعرت بالخجل بعد ان تلون وجهى وحملت ليلى فقد كانت خفيفة ورشيقة وجاوزت درجات البيت وهنا علق سانتونيكس قائلا

- ها انتما الآن فى بيتكما لأول مرة .. اعتن بها يا مايكل إنها رقيقة الطباع لا تستطيع الاعتماد على نفسها وان كانت تتصور عكس ذلك .

- وقاطعته ليلى وهى تقول ،

- ومن اى شىء تخاف علىّ يا سيدى ..؟!

- فقال .. إننا نعيش فى عالم تملئه الشرور والآثام وتحيط به من كل جانب وهناك قوم خبثاء يحيطون بك يا عزيزتى .. لقد رأيت هنا بعضهم وقد جاءوا إلى هنا بدوافع الفضول يتشممون المكان كالجرذان العفنة .

- كلا .. لن يزعجنا احد منهم فقد غادروا جميعا إنجلترا وعادوا إلى امريكا .

- فأجاب ربما .. ولكن لا تنس أن المسافة بين لندن وواشنطن بضع ساعات فقط .. كان بوسعى أن أقف بجوارك ولكن صحتى باتت هزيلة وأيامى فى الدنيا معدودة لذلك أرجو منك الاعتناء بنفسك جيدا .

- فقلت ، دعك من أساطير الغجر .. وهيا بنا لنشاهد أرجاء البيت .

كانت كل الغرف مفروشة باستثناء القليل منها

وهنا قالت زوجتى ليللى فجأة - أود نسينا أن نطلق على البيت اسما لا داعى للاسم القديم فهو يثير خوفى - لنسميه أرض الغجر كما كنت تقول يا مايكل أليس كذلك ؟

- فأجبت فى حزم .. كلا هذا الاسم أميل إليه الآن.

وقاطعنى سانتونيكس قائلا .. لكنه معروف بهذا الاسم .

وجلسنا نحن الثلاثة فى شرفة البيت نترقب مغيب الشمس خلف الأفق البعيد لنبحث عن اسم يليق بروعة البيت وراح كل منا يردد اسم فمن قائل بهجة الروح ومن قال الجوهرة ومن قال بيت الصنوبر حتى خيم الظلام وسرت رياح باردة أجبرتنا على إسدال الستائر وإغلاق النوافذ ثم توجهنا إلى غرفة الطعام لتناول المأكولات وتذكرنا أننا فى حاجة شديدة إلى وجود خدم يقومون على خدمتنا وقالت ليللى ،

- اخشى ان يرفض احد منهم المجىء إلى هنا لخدمتنا نظرا لوجود البيت بعيدا عن العمران .

- فقال سانتونيكس .. فى هذه الحال يحسن بك ان تضاعف من اجورهم .

- فقالت ليللى ، هل تظن ان بالمال يمكن شراء أى إنسان .

- وضحكنا جميعا ونحن نجلس حول المائدة نتناول المأكولات ولاحظت ان سانتونيكس قد تجلت حيويته ولمعت عيناه واسترد عافيته

وفجأة وقع حجر صغير من خلال زجاج النافذة وقد حطم قدحا تهشم وتناثرت شظاياه التى أصابت وجه ليللى وجلسنا فى ذهول وتسمر كل منا فى مكانه فنهضت فجأة من مقعدى نحو النافذة إلى الشرفة ولم ألاحظ شيئا غير طبيعيا ثم عدت إلى ليللى وأحضرت منديلا ورقيا ومسحت به جرحها وأنا أقول فى انزعاج .. لا تخافى ياحبيبتى إنه جرح صغير .

ولكن سانتونيكس كان فاغرا فاه وبدا مشدوها فى حين قالت ليللى

- ولماذا يفعلون بنا هذا ؟ لماذا ؟ لماذا يا مايكل ؟

- فقلت ، ربما هى شقاوة أطفال صغار .

- نهضت ليللى وهى تقول فى فزع ، لكنى خائفة .. خائفة ..

- فقلت ، لا عليك سوف أهتم بهذا الأمر فى الصباح الباكر وسوف أبحث عمن ارتكب ذلك .

- فقالت .. ربما حركتهم أحقاد الفقر نحونا لأننا نملك المال أليس هذا صحيحاً .

وهنا تدخل سانتونيكس ليتجاذب معها أطراف الحديث لكى يهدئ من روعها .

- كلا .. لا اعتقد ان هذا هو سبب حدوث ذلك.

- فقالت ليللى ، لكننى اشعر بكراهيتهم نحوى انا ومايكل اشعر بذلك حقاً ..

وهز سانتونيكس راسه مرة اخرى معبراً عن رفضه لقولها حتى قالت ليللى ،

- قد يكون هناك سبب اخر .. سبب لا نعرف عنهُ شيئاً .. ارض الغجر .. فهم يعملون على طرد كل من يتوافد عليها حتى تصبح ملكاً لهم وربما يريدون ان نرحل، قدمت لها قدحاً من الشراب وانا اقول لها .

- ارجوك يا ليللى لا تفكرى فى ذلك .. انه عمل من اعمال الصبية الصغار .

- مايك .. إننى اتساءل هل هناك احد حريص على إخراجنا من هذا البيت الذى نحبه ؟

- فقلت .. مهما دبروا فسوف اقوم على حمايتك وساتصدى لمكائدهم .

والتفت إلى ناحية سانتونيكس احدثه فى حدة.

- لقد كنت تعيش هنا اثناء بناء هذا البيت فهل تعرف شيئاً مما تقوله ليللى؟ هل حاول احد عرقلة اعمال البناء ؟ هل هناك شخص هددك اثناء عملك ..؟

- فاجاب سانتونيكس - إن المرء يتخيل احياناً اشياء غير واقعية او منطقية .

- اذن فقد وقعت هنا اشياء جذبت انتباهك انت وعمالك اليس كذلك ..؟!

- ان الحوادث فى الغالب تقع عند بناء البيوت ومع ذلك فما حدث هنا

كان عادياً فقد سقط رجل من فوق السلم واخر اصيب بكتلة خشبية وثالث تورم إصبعه .

- ولكن هل حدث شيئاً ما كان غير طبيعياً ..؟!

- كلا .. وانا اقسم لك بذلك .

ثم نهضت ليللى وهى تقول ، هل تذكر تلك المرأة الغجرية يا مايكل التى حذرتنا معاً؟

- فقلت ، نعم اذكرها .. لكنها عجوز حمقاء مجنونة لا تصدقى ما زعمته لك.

- فقالت ليللى ، لقد بنينا البيت فى أراضى الغجر وهو عكس ما نصحتنا به وحذرتنا منه .

- فقلت ، لن يستطيع احد إرغامنا على الخروج من هذا البيت مهما حدث .

فعلقت ليللى وهى تضرب الأرض بقدميها ..

- نعم لن ادعهم يجبروننا على الخروج .

وعدت اقول فى انفعال .. لن يستطيع احد .. لن يستطيع احد ، وكاننى بهذه الكلمات كنت اتحدى الأقدار .

الفصل الرابع عشر

وهكذا قضينا ليلتنا بعد ان عقدنا العزم على البقاء وقد أصرت ايللى على إطلاق اسم (اراضى الغجر) على البيت لكى نتحدى هؤلاء اللاعبين وعاد المرح والسرور على وجه ايللى مرة اخرى وبدانا نخطو نحو جيراننا للاطلاع على احوالهم وقصدنا السيدة العجوز التى تسكن الكوخ كنا نتمنى ان نراها حتى نثبت لها نجاحنا فى بناء بيتنا رغم ما زعمته من أهوال ومصائب وكوارث ستحل علينا لمجرد وجودنا هنا .. نعم كنت اتوق لرؤيتها وللأسف لم اعثر عليها داخل الكوخ وحين سألت عنها إحدى جيرانها قالت ربما قد تكون خرجت فهي تختفي بعض الوقت وقلت فى نفسى انها حقاً غجرية لا تقوى على البقاء داخل بيتها ابدا وسمعت اثناء شرودى صوت هذه السيدة التى تجاور الغجرية الحمقاء وهى تقول :

- اظن انكما اتيتما إلى هنا من البيت الجديد الكائن فوق التل .

- فقلت : نعم .. هذا صحيح فقد اقمنا فيه هذه الليلة فقط .

- فقالت : انه بيت رائع وجميل ذهبنا جميعاً لمشاهدته أثناء بناءه ولاحظت انه شديد التناقض مع الأشجار التى حوله .

وراحت تقول موجهة حديثها لإيللى فى خجل- سمعنا انك امريكية اهذا صحيح .

- اجابت ايللى : نعم اننى امريكية او كنت امريكية ولكننى متزوجة من رجل انجليزى وبهذا تجنست الإنجليزية .

- وهل فى نيتك البقاء و العيش هنا ..؟!

- فتدخلت .. وانا اقول فى حدة .. نعم إننا عقدنا العزم على العيش هنا بالفعل .

- فاجابت فى تردد .. أرجو أن تروق لكما الإقامة هنا ..؟

- فقلت .. ولماذا لا تروق لنا الإقامة هنا ؟

- ربما لأنه مكان نائى بعيدا عن الناس وهو ما يتعارض مع طبيعة البشر الاجتماعية خاصة انه منعزل فوق التل ومحاط بسياج كثيف من الأشجار الكئيبة قالت ليللى .. أراضى الغجر ..!

- فأجابت المراة .. ألنت تعرفين اسم المكان ؟ الغريب أننا جئنا هنا وكان يسمى بأرض الأبراج رغم أنه لم يكن به برجا واحدا وهذا ما رأيته بنفسى .

- فعلقت ليللى قائلة ، أنا لا يروق لى هذا الاسم أبدا فهو اسم على غير مسمى سوف نسميه أراضى الغجر .

- فتدخلت مقاطعاً ليللى وانا اقول ، ينبغى أن نخبر مصلحة البريد حتى تصلنا الخطابات عليه .

- نعم لن تصلنا أية رسائل بالفعل .

- فقلت .. ولكن الا تتفقين معى يا ليللى أن من الخير لنا الا تصلنا أية رسائل ؟ .

- فقالت ، كلا .. فهذا يسبب لنا مشكلات عديدة مثل الفواتير وغيرها .

- ولكن اليس هذا شيئاً رائعاً حقاً .

- كلا .. لن يكون ذلك رائعا .. فسوف يتوافد علينا الحضرون من كل صوب وحدب ثم إننى اتلهف على معرفة اخبار جريتا

- جريتا .. جريتا دعيها وشأنها الآن .. تعال نكتشف هذا المكان وقمنا برحلة استكشافية للقرية وعرفنا انها قرية جميلة تضم أناس ظرفاء . والقرية هادئة تبعث الاطمئنان على النفس وإن كان الخادمان قد رفضا الإقامة معنا فيه لبعد القرية عن العاصمة حتى اضطررنا إلى شراء سيارة اجرة لهما لكى توفر علينا نفقات السفر ومشقته اثناء العطلة الأسبوعية ورحت اتساءل عن سبب نفورهما من البيت فعلمت ان السبب هو الأشجار المخيفة التى تحيط بالبيت من كل جانب وهى الأشجار التى خرجت منها العجوز الغجرية فجاة . وقد افزعتنا انا وليللى عند اول لقاء جمعنا معها

وهنا وافقت ليللى على إزالة هذه الأشجار فى العام القادم لنزرع بدلا منها احواض من الورود والأزهار الجميلة .

وهاهى جريتا جاءت إلينا لقضاء عطلة الأسبوع وأعجبها البيت وراحت تهنئ ليللى على ذوقها الرفيع فى اختيار اثاثات البيت واللوحات الفنية التى تزينت جدرانه بها وسرعان ما عادت إلى عملها وغادرت البيت وقد لاحظت فرحة ليللى بها وهى تطوف معها انحاء المنزل ورغم اننى كنت متضايق من تعلقها بها إلا اننى تظاهرت بعدم الاكتراث بما يحدث بينهما ولكنى شعرت بالسعادة حين اعلنت جريتا عزمها على الرحيل وإن لم اظهر ذلك . بعد أيام من إقامتنا تعرفنا باهالى القرية وجاء الميجور فيليبوت لزيارتنا وهو رجل دمث الأخلاق بلغ الستين من عمره يرتدى ملابس رثة قديمة وهو أشيب الشعر وله شارب خفيف وقد استحوذ على إعجاب أهالى القرية . ونصبوه حكيماً لهم وزعيما لقريتهم وراح يتجاذب معنا أطراف الحديث وكان من حين لآخر يظهر لنا سروره وسعادته وارتياحه لنا وراح

يدير دفة الحوار بروح المرح والدعابة وقد سألنى عن السباق وكانت ليللى لا تبالى بسباق الخيل وازعجه ذلك ونصحها بضرورة شراء الخيول لممارسة رياضتها فى الأراضى البور الواقعة خلف البيت ثم تحدثنا فيما بعد عن اراضى الغجر وقال لنا ،

- اعلم انكما سمعتما عن الشائعات التى تدور هنا .

- فقلت ، سمعنا عنها الكثير على لسان مسز لى العجوز التى حذرتنا من المجىء إلى هنا .

- فقال ، يا لها من امرأة مسكينة لقد اصابتكما بالفزع والخوف .

- فسألته .. اتظن انها مجنونة ..؟!

- فقال، ليس بالقدر الذى تتوقعه فانا مسئول عنها ودبرت لها الكوخ ورغم ذلك فهى لم تبدى اى شكر او امتنان ولكنها تزعجنى احياناً .

- هل تجيد قراءة الطالع ؟

- ربما فى بعض الأوقات .. ولكن هل قرأت لكما بختكما ..؟

- فاجابت ليللى .. نعم وقد انذرتنى من البقاء هنـــا .

فقطب الميجور حاجبيه وهو يقول ،

- هذا امر يدعو للدهشة فهى دائما تتحدث عن الأشياء السعيدة فعادة تقول شاب وسيم وفتاة جميلة ودستة اولاد ومال قـادم ونطق بالكلمات الأخيرة مقلدا العجوز وهى تقول .

- على اية حال فإن الغجر اغلبهم من اللصوص ولكنهم ظرفاء فقد عشت معهم منذ طفولتى سواء فى المسكن او فى المدرسة وتأثرت بهم كثيرا

بل إن اسرتى نفسها مدينة لمسز لى فقد انقذت حياة احد اشقائى الصغار كاد ان يموت غرقاً فى بركة مجاورة لنا وهنا اتيت بحركة خرقاء هشمت كاسا من فوق المائدة فوقع على الأرض وتناثرت شظاياه وعاونى الميجور فى جمعها وهنا قالت ليللى،

- لقد ظلمت مسز لى وإنه لغباء منى ان انزعجت منها .

- فقال الميجور .. إلى هذا الحد بدت لك العجوز انها شريرة ..؟!

- فقلت ، نعم لقد ازعجتها من خلال لهجتها التحذيرية . وحين اقمنا هنا اول ليلة حدث لنا حادث غريب وحدثته عن الحجر الغريب الذى حطم الزجاج وقدح الماء فقال فى دهشة. هذا عمل صبيانى احمق وهذا غريب فالأطفال هنا يتمتعون بالهدوء والاتزان .. إننى اسف لما حدث لكما.

فقالت ليللى ،

- لقد نسيت هذا الحادث ولكن ما ازعجنى اننى وجدت فى صباح اليوم التالى عصفورا ميتاً على باب البيت وقد اخترق صدره خنجرا وإلى جواره ورقة كتب عليها "إذا كنتما ترغبان فى الحياة .. ارحلا عن هنا"

وظهرت امارات الحزن والضيق على وجه الميجور فيليبوت وهو يقول ،

- لقد اخطأتما كان عليكما إبلاغ البوليس فورا .

- فقلت .. لم نرغب فى ذلك .

- فقال .. هذا حادث غريب يجب ان نتصدى له فلو كان مزاحا لعاقبنا مرتكبه وراح يقول مستطردا .. يبدو لى ان هناك من يحقد عليكما او على احدكما .

- فقلت .. كلا لا يمكن ان يكون الأمر كذلك فنحن غرباء هنا .

- قال فيليبوت ، سوف اتحقق من كل هذا .

ثم نهض واقفاً وهو يتامل المكان ويقول .. لقد أحببت هذا البيت فأنا من الجيل القديم وكنت أعشق البيوت القديمة فهو فسيح ويطل على منظر ساحر جميل .. من الذى صممه وشيده ..؟ هل هو مهندس إنجليزى ام احد الأجانب ..؟

ورحت احدثه عن عبقرية سانتونيكس فقال إنه قرا عنه فى مجلة البيت و البساتين فقلت له إنه مهندس مشهور وانصرف الميجور وقد وجه لنا دعوة لزيارة بيته لتناول الغداء معه هو وزوجته ثم راح يقول - اتمنى ان يروق لكما بيتى القديم .

- فسالته ، أهو من الطراز القديم إذن .

- فاجاب .. لقد تم بناءه عام ١٧٢٠ وهو الوقت الذى كان معروفا بالبناء الرفيع وكان مبنياً على طراز الملكة اليزابيث ثم هدم فى عام ١٧٠٠ وتم بناء بيت جديد .

- فسالته ، هل تقيم هنا منذ زمن بعيد ؟

- فاجاب - نعم إننا نعيش فيه من عهد الملكة اليزابيث ومنذ هذا الوقت ونحن نعيش في بحبوحة من العيش وإذا ساءت الأمور لجأنا لبيع بعض الأراضى حتى تستقر بنا الأحوال فنعود لشرائها مرة أخرى .

ثم نظر إلى إيللى وهو يقول ؛

- إن الأمر يكيين يعشقون البيوت القديمة . اما أنت يا مايكل فلا أظن انك تهوى البيوت القديمة .

- فقلت ، لا يمكن ان ازعم اننى احب البيوت القديمة فعلاً وهنا نهض

فيليبوت واقفاً وكان فى سيارته كلباً اسبانيا يجلس فى سيارته القديمة وسررت من زيارته التى ستدفع أهل القرية لحذو عمله كما شعرت انه قد احبنى انا وزوجتى وودعته حتى الباب وعدت لأجد إيللى تجمع شظايا الكاس المحطمة وهى تقول فى اسف .. إن الكاس قد تحطمت.

- قلت .. يمكن لنا شراء غيرها .

- قالت .. اعرف ذلك ولكن ما الذى اثارك هكذا

- فقلت ، ملاحظة ابداها الميجور كنا ونحن صغار نلهو فى التزحلق على الجليد حتى ان طفلاً معنا سقط فى بركة من الماء ولم نفلح فى إنقاذه .

- ما ابشع ذلك يا مايكل .

- نعم كنت قد نسيت هذا الحادث لولا ان فيليبوت ذكره .

- لقد احببته يا مايكل .. وانت ما شعورك نحوه؟

- وانا أيضاً شعرت بالميل نحوه ولكن كيف تكون زوجته ..؟!

ولبينا دعوة الميجور فيليبوت لتناول الغداء عنده وكان بيته جميلا من الطراز الحجرى وإن لم استرح له يضم العديد من اللوحات القديمة البالية وكان بين هذه اللوحات صورة لفتاة جميلة ترتدى ثياباً جميلة تاملتها فى دهشة وإعجاب وهنا ابتسم الميجور قائلاً ،

- هذه احسن لوحة فقد رسمها جينسبورو وقيل إن صاحبة الصورة قد دست السم لزوجها.

دعا الميجور فيليبوت بعض جيرانه للتعرف علينا فكان بينهم الدكتور شو وهو رجل يبلغ الستين من العمر مثل الميجور وإن بدا لنا مرهقا وكان هناك احد القساوسة وهو شاب متزن هادئ وامراة فى منتصف العمر

ذات صوت جهورى وهناك ايضاً فتاة طويلة القامة مليحة الوجه سمراء اسمها كلوديا هارد كاسل يبدو انها تعشق ركوب الخيل رغم إصابتها بالحساسية المعروفة باسم حمى الهشيم وقد اقتربت من ليللى ومالت إليها وانسجمت معها. ووعدتها ليللى بان تعطيها اقراص برتقالية اللون للتغلب على هذا المرض، وراحت كلوديا تشكرها وهى تقول إن هذه الحساسية تهاودنى عند ركوب الخيل والجمال خاصة حين ركبتها وانا فى طريقى إلى الأهرام .. اما انا كنت جالساً بجوار زوجة الميجور وهى امراة طويلة ممشوقة القوام تلتهم الطعام بشراهة وهى تتحدث عن مرضها واحتار الأطباء فى علاج مرضها وسالتنى عما افعل فى الحياة فتظاهرت بعدم السماع .. على اية حال فقد كان يوماً ممتعاً حقا .. بعد ذلك واثناء سيرى للتنزه فى الحديقة وجدت كلوديا هارد كاسل تقف امامى وهى تقول :

- لقد سمعت عنك من اخى ..!

فتسمرت مكانى متسائلاً فى نفسى من اين عرفنى اخوها وكيف ذلك وقلت لها :

- هل انت متاكدة مما تقولين .

- فقالت وهى تبتسم نعم إنه هو الذى بنى بيتك .

- هل تقصدين انه سانتونيكس .. كيف ..؟!

- نعم هو ذلك، اخ غير شقيق وانا لا اعرفه معرفة جيدة حيث لا نلتقى إلا نادراً .

- إنه عبقرى خطير ..

- هذا راى البعض فيه ..

- الا تعتقدين ذلك ايضا .

- لا اظن .. لقد كان فاشلاً ثم وجدته فى القمة على غير العادة وكانه اصبح موهوباً.

- لكنه بالفعل موهوب.

ثم سالتها هل رات بيتنا فاجابت بالنفى مؤكدة انها لا تحب البيوت الحديثة وان طراز الملكة آن هو المفضل لديها ووعدتنى انها ستلحق بليللى فى نادى الجولف وانها ستركب معها الخيل وهكذا احسست بحبها نحو زوجتى .

اما الميجور فيليبوت فقد تمتم بكلمة أو بضع كلمات عن كلوديا وهو يترجل فى حديقة خيوله.

- إنها فارسة ماهرة .. لكنها فاشلة فى حياتها الاجتماعية .

- كيف حدث لها ذلك؟

- تزوجت رجل يكبرها بسنوات كثيرة .. إنه رجل أمريكى اسمه لويد لكنها انفصلت عنه بسرعة واظنها ستظل هكذا مطلقة فهى قد كرهت الرجال.

وفى طريق عودتنا قالت ليللى :

- إنهم اناس ظرفاء سنكون سعداء هنا يا مايكل اليس كذلك ..؟

- فقلت : نعم سنكون سعداء .

ودخلت بالسيارة إلى الجراج الخاص بها ونزلت ليللى منها متوجهة إلى باب البيت واثناء عودتى بمفردى بعد أن اغلقت باب الجراج سمعت انغاما جميلة تنبعث من قيثارة اسبانية رائعة كانت ليللى هى التى تعزف وتغنى

بصوتها الرقيق كنت لا افهم كلمات الأغانى فهى من (الفلكلور الأمريكى) لكنى كنت مسرورا وسعيدا بها رغم انها كلمات شجن وحزن كانت ليللى تعزف فى حنان ورقة وهى تقول ،

خلق الرجل للفرح والغناء

وحين يعرف ذلك

يعبر الدنيا فى امان

كل ليل ونهار

يولد البعض للعذاب

ويولد البعض للهناء

ويولد البعض لليل طويل مدى الحياة

وقفت خلفها بحيث لا ترانى ولنا اسمع ما تشدو به كبلبل حزين يصدح على اوراق الشجر ويرقص على أغصانه وسرعان ما رفعت عيناها فوجدتنى لتقول ،

- لماذا تتاملنى هكذا يا مايكل ..؟!

- وكيف لاحظتى نظرتى إليك يا زوجتى الرقيقة ؟

- لنك تنظر إلى نظرة عاشق ولهان .

- بالطبع فانا احبك وهل يجب أن انظر إليك على عكس ذلك ..؟

- نعم كنت افكر فيك حين رايتك لأول مرة .. واقفة بين اشجار النوح لننى احب ان اتذكر هذه اللحظة الجميلة .

وابتسمت فى سعادة وسرور وراحت تعزف على قيثارتها وتشدو فى رقة

كل ليلة وكل نهار

يولد البعض للهناء

يولد البعض للهناء

ويولد البعض لليل طويل مدى الحياة

الواقع انتى كنت فى غاية السعادة والسرور فى تلك الليلة منذ عودتنا من بيت الميجور فيليبوت وقلت لها انشدى لى انشودة الذبابة .. فراحت تنشد فى حنان .

ليتها الذبابة الصغيرة الملعونة

ان يدى الطائشة تعودت على الاعيبك .

ولكن انا لست مثلكم يا ذبابة او لست انت رجلا

مثلى اغنى وارقص واشرب والهو .

حتى تلك اللحظة التى تبطش فيها يد طائشة

تحطم ضلوعى ...

الفصل الخامس عشر

بعد ذلك وأثناء هذه الأوقات الحالمة التى عشناها فى هذا البيت الجميل ازعجتنى خطابات كورا زوجة والد ليللى وكأن الرياح قد أتت بما لا تشتهى لها سفنى وبواخرى، فقد كنت أظن اننى ساعيش بمفردى انا وليللى بعيدا عن هؤلاء الأبالسة ولكن سرعان ما امطرتنا بخطاباتها السخيفة وقد أشارت فى أحد رسائلها انها تنوى العيش فى لندن لمدة شهرين فى كل عام وانها ترغبْ فى شراء بيت لها قد شاهدته وهو يبعد عن بيتنا بنحو خمسة عشر ميلا . والواقع اننا لم نكن نريدها بجوارنا بل اننا رفضنا هذه الفكرة .

أما الملعون فرانك فقد وقع فى مصيدة النصب والاحتيال كعادته وتطلب حل هذه المعضلة حضور ستامفورد لويد وكان واشنطن هذه تبعد عنا عشرات الأميال فقط . وذهبت مع ليللى إليه فى مقر معيشته ودار الحديث بينهما فى امور تتعلق بأعمال مالية وسمعت مصطلحات غريبة مثل السندات وغيرها وان هناك تلاعباً قد حدث فيها وان مستر ستانفورد لم يدرج قيمتها فى كشوف الحساب .

وعدنا إلى بيتنا ورغبنا فى التنزه خارجه وانطلقنا فى طريق سلكناه لأول مرة تحف به الأشجار والأعشاب من كل جانب حتى انتهى بنا المطاف فى كوخ سميناه (الخلوة) كان أشبه بمعبد أرادت ليللى ان تعيد طلائه ووضع اثاث فيه إلا اننى رفضت وقلت لها فليظل كل شىء فيه على حاله وصممنا على الا نخبر كورا بأمر هذا المعبد الجميل حتى نقضى فيه أوقاتا سعيدة بعيدا عنها .. آه .. كورا كانت قد حضرت وكنا نذهب للخلوة نلهو ونلعب ونمرح دون ان يعكر أحد صفونا وأثناء لهونا خارج المعبد تعثرت ليللى فى جذع شجرة رغم رشاقتها وخفتها فالتوى كعب قدمها.

وذهبنا إلى الدكتور شو الذى طمأننا على حالتها وأكد أنها فى حاجة إلى راحة لمدة أسبوع على الأقل حتى تتخلص من ألمه .

وبعثت إيللى بخطاب تستدعى به جريتا .. ورضخت لرغبتها فلم يكن هناك أحد يعتنى بنظافة البيت وشئونه وعلى كل حال فقد رغبت فى ذلك ولها ما أرادت وجاءت جريتا وكانت ذات فائدة لإيللى ولى أنا أيضا أما الخدم فقد غادروا البيت زاعمين أنه بيت معزول وإن كنت أظن أن كورا كانت وراء هروبهم منه ونشرت جريتا إعلانا داخل الصحف المحلية وحضرت ومعها خادمين آخرين والحقيقة أنها كانت شديدة الاهتمام بمقدم إيللى وقد قامت برعايتها وتسليتها وترفيهها وأحضرت أشياء تعرف أنها تحبها وتعشقها والحقيقة أيضاً أن زوجتى كانت فى غاية السعادة أثناء وجود جريتا ولسبب ما ظلت جريتا معها ولم تعد إلى عملها وهنا قالت إيللى تخاطبنى :

- هل لديك مانع من بقاء جريتا معنا لبعض الوقت ..؟

- فقلت فى اقتضاب .. كلا .. كلا ليس لدى مانع .

- إن وجود جريتا معى يا مايكل عون لى وتعويض كبير فهناك أشياء نسائية ينبغى أن نتحدث فيها معاً بعيدا عن الرجال .. إننى أشعر بوحدة فى غياب جريتا .

ولاحظت أن جريتا مع مرور الأيام صارت هى الحاكم الفعلى للبيت وتظاهرت أننى أحبها وأود بقائها معنا ولكن وأثناء راحة إيللى فى غرفتها كنت أقف فى الشرفة بجوار جريتا ثم تشاجرنا فجأة وإن كنت لا أتذكر كيف بدأ العراك معها لكنها تحدثت بكلمات أثارت حنقى وارتفعت أصواتنا معا وقد صدرت منها أبشع الألفاظ النابية وانفجرت أنا بدورى أتهمها بأنها ديكتاتورية مستبدة تتدخل فيما لا يعنيها وأنها عكرت حياتى وتبادلنا

الصياح وفجأة جاءت إيللى مسرعة وهى تتجه نحو جريتا وهى تصرخ .. أنا آسفة يا حبيبتى .. أنا آسفة جدا .

- ورافقتها إلى غرفتها وعادت لتقول فى حدة :

- لم أكن أتصور أنك تحقد عليها إلى هذا الحد

- وتماسكت أمامها وبادلتها الحديث برقة وعذوبة لأهدئ من روعها وثورتها وشرحت لها أن أعصابى قد خارت قواها بسبب استبداد رأيها دائماً فى المنزل وانتهى الأمر باعتذارى لجريتا وطلبت منها أن تظل معنا .

كان خلافاً سخيفاً وأظن أن الخدم قد نما إلى سمعهما ما حدث بيننا والواقع أننى كنت مبالغاً فى غضبى وهذا من طباعى السيئة فقد كنت جلفاً كبيرا .

وحضر الدكتور شو لمتابعة حالة إيللى وتأكد أنها أصبحت فى حالة طيبة وسمح لها بالمشى على قدمها بعد أن تربطه بشاش طبى ولفت نظر الدكتور شو أن مشيها الآن قد يصيبها بضرر بالغ خاصة وأنها رقيقة وضعيفة البنية إلا أن الدكتور أكد لى أن صحتها قوية وليست ضعيفة كما أزعم .

وقد نصحها بتناول بعض الأقراص المنومة إذا دعت الضرورة لذلك ثم أكد لها أن الأقراص ينبغى تناولها فقط إذا استعصى عليها النوم فقط وهى مفيدة وليست لها أضرار جانبية إطلاقا .

واعتذرت لإيللى مرة أخرى عما بدر منى حيال جريتا وقد قلت لها أن جريتا هى السبب وراء انفلات أعصابى وضحكت إيللى وضحكنا معا كطفلين .

وسرعان ما توثقت أواصر المحبة والصداقة بين ليللى وجيرانها خاصة كلوديا كاسل وقد قاما معاً بالتنزه على ظهور الجياد وكنت بدورى لا اشارك فى تلك الرياضة فانا احب السباق فقط بعيدا عن هذه الهواية صحيح اننى عملت سائساً فى اسطبل خيول لمدة اسبوع إلا اننى لم افهم لغة الخيل .

وامام خوفى من ركوب الجياد نصحت ليللى بتوخى الحذر عند ركوب الخيل حتى لا تصاب بأذى او مكروه وقد بادرتنى قائلة فى ثقة اننى اركب الجياد منذ صغرى وانا ابنة ثلاثة أعوام فقط وهكذا راحت تتنزه على ظهر جوادها ثلاثة ايام كل أسبوع لشراء ما تحتاج إليه من السوق .

وفى صباح باكر قالت جريتا اثناء تناولنا طعام الفطور .

- خرجت امراة عجوز ذات وجه مخيف هذا الصباح ووقفت فى عرض الطريق واتصفت ببذاءة اللسان .

- ماذا ؟ كانت سليطة اللسان معك ..؟!

- نعم .. عليها اللعنة ..

كانت ليللى تسمع كلمات جريتا فى دهشة وذهول .

- واردفت جريتا تقول ! لقد هددتنى قائلة "عليك ان تغادرى هذا المكان انتى ومن معكِ فورا وإلا حلت عليكم لعنة الغجر" .

- ورفعت قبضة يدها وهى تقول : "إذا لم ترحلوا سلطت عليكم لعنتى ولن تعرفوا طعم السعادة بعدها .. إننا نريد خياماً لا بيوتاً .

اما ليللى فقد كانت تقول فى وجوم .

- كلا هذا يبدو بعيد الاحتمال .. اليس كذلك يا مايكل ..؟

- فقلت : اظن أن جريتا بالغت بعض الشئ .

- يبدو انها فعلاً بالغت ولكن لماذا ؟

فسألتها .. الم تلتق مع إستر اخيرا ؟ الم تعترض طريقك اثناء تنزهك .

- تقصد المراة الغجرية ؟ كلا

- هل انت واثقة من ذلك ..؟

- اظن اننى لمحتها بين الأشجار لكنها كانت بعيدة .

- ولكن بعد عدة ايام تسمرت المراة امام ليللى وقد صرخت فيها ليللى وهى تقول ماذا تريدين إن الأرض ملك لنا وليست ملك لك انت وحدك بيتنا

وهنا ردت عليها المراة الغجرية (كلا .. لن تكون ملك لك ابدا .. لقد انذرتك مرة وانذرتك الثانية أن الموت يجاورك .. إن بيتك سينهار"

فقلت غاضباً ينبغى ان نضع حدا لهذه المراة الملعونة .

بدا الخوف على وجه جريتا وليللى هذه المرة أما انا فقد قصدت كوخ مسز لى ولم اجدها فتوجهت إلى مركز البوليس وكنت اعرف الضابط كين وهو رجل ضخم الجثة سريع البديهة راح يستمع إلى فى اهتمام بالغ ثم قال :

- آسف لإزعاجكما يا مايكل انها امراة عجوز سببت لنا متاعب كثيرة وسوف انصحها بالابتعاد عن طريقكما .

- فقلت .. اتمنى مساعدتك يا كين .

- فقال : هل هناك من يحقد عليك انت وزوجتك..؟!

- كلا .. لا اعتقد ذلك ..

- لن مسز لى تنفق اموالاً كثيرة وهذه الأيام لا أعرف مصدرها .

- ماذا بوسعك ان تقول ..؟!

- لعل هناك من يدفع لها بسخاء .. اقصد شخصاً يرغب فى طردكما من هنا ..! فعلت هذا منذ سنوات بعد ان امدها احدهم بالمال وهى الآن تمارس نفس الأسلوب معكما وعدت إلى البيت حائراً متضايقاً مما سمعت وما ان بلغت شرفة المنزل حتى سمعت صوت قيثارة ايللى ثم رأيت شخصاً طويل القامة واقفاً بجوار النافذة ينظر إلى الداخل ويتحرك نحوى وظننت فى البداية انها المرأة الغجرية ولكنى شعرت بارتياح حين يتبين لى انه المهندس سانتونيكس وقلت .

- اوه .. أهو انت ..؟! من اين جئت ؟ وما هى اخبارك ؟

تردد فى الإجابة عن اسئلتى ثم امسك ذراعى وانتحى بى عند النافذة وقد قال:

- إذن هى هنا .. إن هذا غريب .. كنت اعرف انها ستأتى آجلاً او عاجلاً لماذا تركتها تحضر .. إنها شديدة الخطر .. كان يجب ان تنتبه لذلك ..!

- ماذا تقصد ؟

- اقصد المرأة الأخرى

- اوه .. تقصد جريتا .

- فقال فى حدة .. هل تعرف من هى جريتا ؟ إنها جاءت لكى تبقى ولن تقدر على طردها .

- فقلت ، لقد اصيبت ايللى وقد جاءت لمساعدتها ومعاونتها .

- انت لا تعرف حقيقتها فقد رغبت فى ذلك منذ البداية .. صدقنى يا مايكل .

- جاءت خصيصاً لتلقى نظرة على البيت اثناء بناءه.

- لكن ايللى متعلقة بها جداً .

- إنها تعرف كيف تسيطر على عواطفها .

- كان هذا نفس الكلام الذى نطق به ليبتكوت ووثقت من ذلك الآن .

- اسمعنى يا مايكل .. هل تريدها هنا ..؟

- وماذا بوسعى ان اصنع وهى صديقة حميمة لزوجتك .

- لا اظن انك تستطيع ان تفعل اى شىء

- ورمقنى بنظرة قاسية فهو رجل غريب الأطوار غامض .

- ثم اردف يقول ، هل تعرف إلى اين انت تسير يا مايكل ؟

- فقلت .. نعم اعرف طبعاً .. فطريقى إلى حيث أريد .

- انا خائف عليك من جريتا فهى اقوى منك .

- لماذا تقول ذلك ..؟

- إنها امرأة قوية لعبت بمشاعر زوجتك وسيطرت عليها ولا حاجة لزوجتك بك وسوف تصبح نكرة لا قيمة لك فى نظر ايللى فى حضور جريتا .

- كلا .. انت معتوه وتتحدث فى اشياء خاطئة وسخيفة ماذا تقصد ؟

- هل انت زوج ليللى ام ان ليللى هى زوجتك ؟

- انت مجنون .. فلا يوجد خلاف او اختلاف فى ذلك .

- اخذ المهندس سانتونيكس نفساً عميقاً وهو يقول فى ياس :

- إننى لا افهمك وانت ايضاً لا تفهم ماذا تريد .. اسمع يا مايك انا مهندس معمارى ممتاز وقد شيدت هذا البيت على احدث طراز بناء على رغبتك انت وزوجتك فليتك تطرد هذه المراة قبل ان يسبق السيف العزل .

- وكيف استطيع إقناع ليللى بذلك ..؟

- صدقنى انها خطر وتفعل ما تريد .

- اصدقك القول فانا لا اطيق سماع اسمها ولكن طردها ليس سهلاً .

- نعم طردها ليس سهلاً .

- لكن هل تؤمن يا سانتونيكس بلعنة الغجر التى تتردد هنا ؟

- نعم ارواح شريرة سكنت المكان وانا اؤمن بذلك فانا أعرف الشر تمام المعرفة وهو موجود فى بيتك ويجب ان يتطهر منه هل تفهم ؟ هيا بنا كى نبحث عن ليللى .. والتقى مع جريتا وكان ظريفا معها لطيف المعشر عذب الكلام .

كما لو كان مفتوناً بجمالها وانوثتها وقد يكون ذلك صحيحا فهو رجل غامض يستطيع إخفاء مشاعره التى تتدفق بداخله نحو جريتا إنه رجل خطير.

اما جريتا فقد كانت ضعيفة امام كلمات المدح والإطراء التى تسمعها من اى احد وكانت تلك الليلة فى ابهى صورة وقد رايتها بأجمل مما كانت من قبل .

كانت تبتسم لسانتونيكس وهى تبدو مسحورة امام كلماته وكان الرجل ظريفاً لكن احدا لا يعرف ماذا بداخله وألحت عليه زوجتى بالبقاء معنا عدة ايام إلا انه رفض متعللاً بالمرض .

وقد اردف يقول لقد عالجونى.

- فقلت، كيف عالجوك؟

- قال ، اخرجوا منى دم فاسد واستبدلوه بدم طازج .

- قالت ليللى وهى تصرخ .. اوه .

- فقال سانتونيكس .. لا تخافى لن تتعرضى لذلك ابدا .

- فقالت .. ولكن لماذا اصابك انت بالذات .

- كيف تسالينى عن ذلك وقد سمعت شدوك وانت تقولين خلق الرجل للسعادة والغناء.

- الا تشعرين بالأمان يا ليللى ..؟

-لا احب ان اتلقى تهديدا من احد

- تقصدين المراة الغجرية

- نعـــم .

- ابعديها عن خاطرك هذه الليلة اتمنى لك حظاً سعيدا . فالتفتت له جريتا وهى تقول :

- وماذا تتمنى لى ايضاً ..؟!

- اتمنى لك ما تشتهين .. اتمنى التوفيق .

- وانصرف عن بيتنا فى صباح اليوم التالى وقد علقت ليللى عقب مغادرته .

- إنه رجل غامض غريب الأطوار لم افهمه أبدا.

- فقلت .. انا نفسى لم اعد افهمه ابدا .

- بلى .. فهو يعرف اشياء كثيرة .

- تقصدين انه يعرف المستقبل .

- كلا .. لا اقصد هذا .. إنه يعرف الناس بأكثر ما يعرفون انفسهم .

الفصل السادس عشر

فى عصر اليوم التالى كنت امشى فى مكان مظلم داخل القرية ووجدت من بين الأشجار امرأة فارعة الطول ظننت أنها الغجرية وتوقفت فجأة امامها فإذا بها امى فقد وقفت بقامتها الفارعة وشعرها المتهدل ورحت اخاطبها .

- رباه .. إنك اخفتنى يا اماه .. ماذا جاء بك إلى هنا ؟ هل جئت لزيارتنا ؟

- لقد طلبت منى المجيء اكثر من مرة ولم تلبى دعوتى لك .

- والواقع اننى كنت كاذباً فقد بعثت لها برسالة مقتضبة تخلو من حنان الابن. فلم اكن ارغب فى وجودها معى وقد ردت بعد برهة من التفكير.

- نعم اصدقك وجئت لأطلع على امورك فى هذا القصر الرائع .

- شعرت بسخريتها وقد قلت لها .

- اتقصدين انه كبير لا يليق بى ..؟

- كلا .. لا اقصد هذا يا بنى .

- ولكن هذا هو ما يدور فى خاطرك ؟

- إنك لم تولد لهذا القصر يا بنى وليس من الخير ان ترتفع على اوضاعك الاجتماعية .

- لو رضخت لنصائحك لبقيت مكانى دون ان اتحرك للأمام خطوة واحدة .

- اعرف انك ستقول ذلك ولكن الطموح سيدمرك يا ولدى فنهايته خطيرة .

- دعينا من هذا الهراء تعالى معى لكى تشاهدى البيت بنفسك ولكن حذارى ان تغلظى القول لزوجتى.

- زوجتك ؟ لقد قابلتها من قبل .

- ماذا تعنين بذلك يا اماه ..؟!

- انها حضرت لزيارتى

- فقلت مستغرباً : ذهبت لزيارتك .

- نعم .. جاءت وطرقت الباب وبدا عليها الخوف انها فتاة مليحة وثرية . وبادرتنى متسائلة .

- هل انت ام مايك ..؟

- فقلت لها نعم ومن تكونين يا فتاة ..؟

- فقالت .. انا زوجته وقد حضرت لرؤيتك فمن غير اللائق الا التقى بك .

- فقلت لها : اعرف انه يرفض زيارتك لى.

- فقالت : ربما يشعر بالخجل من فقركما .

- لا ليست هذه من عيوب ابنى ابدا .. انه لا يخجل منى ولكنه يخاف من كلامى فقالت نعم وهذا هو ما اشعر به فعلاً .

- لقد كانت خائفة يا مايكل .

- فقلت لها : تعالى يا امى .. تعالى وشاهدت البيت ولا اعرف هل اعجبها ام لا ..

- كانت ليللى وجريتا جالستين معاً .. كانت جريتا ترتدى معطفاً من الصوف الأحمر ونظرت اليها امى وقفزت ليللى من مكانها وهى تقول :

- اوه .. اهذه انت يا مسز روجرز ..؟

ثم التفتت إلى جريتا وهى تصيح هذه ام مايك جاءت لزيارتنا ومشاهدة بيتنا هذه صديقتى جريتا اندرسون وامسكت بيد امى مرحبة بها بينما امى تقول لها وهى تحدق بعينها فى وجه جريتا .. اننى ارى .. اننى ارى .

- فسالتها ليللى .. ماذا ترين يا اماه...؟!

- قالت ارى بيتاً جميلاً واثاث رائع وريش نعام ولوحات فنية .

- وقالت ليللى : ينبغى عليك ان تتناولى قدحا من الشاى .

-إلا ان امى تحولت إلى جريتا وهى تقول: هل تتفضلين باعداد الشاى .. بكل سرور يا عزيزتى .

اما جريتا فقد مضت نحو المطبخ وهى ترمى امى بنظرة مذعورة.

- وجلست امى وسالتها ليللى .. لين حقائبك؟ اود بقائك معنا ؟

- كلا يا ابنتى لن ابقى هنا .. ساعود بالقطار بعد نصف ساعة .

- ثم راحت تقول قبل مجىء جريتا : ارجو الا تنزعجي يا ابنتى لقد قلت له انك قد اتيت لزيارتى .

- قالت ليللى فى حزم .. إننى اسفة يا مايك إذ لم اخبرك بذلك .

- فقالت امى .. إن زوجتك جاءت لزيارتى وهى فخورة لأنها فتاة طيبة ورقيقة وانا آسفة يا ابنتى .

- فقالت ليللى .. آسفة لماذا ؟

- فأجابت .. لما بدر منى .. والآن عرفت ان مايك اصاب الاختيار .

- فقلت .. يا لها من وقاحة .. وكنت ابتسم اثناء هذا القول واردفت اقول :

- إنك تعرفين يا امى اننى اتمتع بذوق رفيع منذ صغرى .

- فقالت : تقصد انك تتمتع بالإسراف والتبذير .

- وهنا ضحكت ليللى وهى تقول : بل انا اسوا منه فى ذلك الشان يا اماه .

- فاعترضت اقول : ولماذا البخل إن الزوج الذكى هو الذى يتزوج من فتاة ثرية كى ينفق ما يريد فى اى وقت يشاء .

- وضحكت ليللى وهى تقول : تستطيع ان تنفق كل ما تشاء يا مايك وجاءت جريتا بإبريق الشاى وتكهرب الجو والحت زوجتى فى إبقاء

امى معنا إلا انها رفضت واصرت على الرحيل ورافقنا امى حتى الباب وقد قالت امى فجاة :

- ما اسم البيت الآن ..؟

- فقالت ليللى : اراضى الغجر .

- فاجابت امى .. نعم هناك بعض الغجر يقيمون هنا فى هذا المكان .

- فسالتها من قال لك ذلك ..؟!

- فاجابت .. رايت عجوز غجرية وانا قادمة إليكما ورمقتنى بنظرة مذعورة ..

- هل تسببتما فى إزعاجها ..؟

- فقالت ليللى .. كلا ولكنها تشعر اننا جئنا هنا لسلب اراضى الغجر .

- قالت امى : ربما تتطلع لبعض الأموال .

- فقالت ليللى : هل تحبين الغجر ..؟

- فاجابت .. كلا هم حفنة من اللصوص ويحترفون التسول .

- وقبل الوداع سالت امى من هذه الفتاة التى تقيم معكما ؟

- فاجابت ليللى .. إنها جريتا وصيفتى منذ ثلاث سنوات، وقد مدحت جريتا كثيرا مؤكدة انها كانت ملازمة معها وهى مصدر سعادتها .

- فقالت امى : هل تقيم معكما ام هى فى زيارة خاطفة ؟

- فقالت ليللى .. إنها تقيم معنا فى الوقت الحاضر لان قدمى مصابة وكان لابد من وجودها .

- فقالت امى .. من الخير لعروسين جديدين ان يقيما لوحدهما.

- ووقفنا بجوار الباب لمشاهدة امى وهى تهبط التل وقالت ليللى فى تفكير .

- إنها تتمتع بشخصية قوية جدا .

- كنت ما ازال غاضباً من ليللى بسبب زيارتها لأمى دون ان تخبرنى بذلك . وقلت لها وهى تتبادل معى نظرات الحب .

- إنك فتاة مخادعة لماذا اهتممت بزيارة امى دون ان اعرف ..؟!

- كان واجبا علىّ ان افعل ذلك لقد بذلت جهودا شاقة على تربيتك وتعليمك ورايت من الخسة الا اذهب إليها .

- لا يستطيع أحد ان يلومك إنما اللوم يقع علىّ انا فقط .

- نعم لقد فهمت لماذا ترفض زيارتها ؟

- هل تظنين اننى إتبرا من امى ؟ هذا ليس صحيحا يا ليللى .

- قالت بعد تفكير.. كلا لقد تأكدت من ذلك الآن فأنت كنت ترفض لقائى بها حتى لا تصدع راسى فى الحديث عن مغامراتك .

- قلت : هذا صحيح فإن شغلها الشاغل هو أن ترانى مستقرا .

- قالت .. لكنها تحب مصلحتك يا مايكل وانت خلقت للطواف حول العالم لا العمل .

- كلا .. بل ارغب فى البقاء هنا معك دون ان اسافر إلى اى مكان .

- ستصاب بالملل يا مايكل فانت تحب السفر وسوف نعود إلى هنا كل عام . فقط إننا يجب ان نزور اليابان ومصر وغيرهما .

- قلت .. إنك جعلتنى أحب الحياة يا ليللى وآسف لغضبى .

- قالت .. انا لا اعبا بغضبك فانا لا اخاف منك .

- ثم استطردت تقول ولكن الا تلاحظ ان امك لا تحب جريتا ؟

- قلت .. إن اناساً كثيرين لا يحبونها

- وانت منهم .

- افهمينى يا ليللى كان ذلك فى البداية والآن تفاهمنا . إن مستر ليبنكوت لا يحبها ويعتقد انها ذات تاثير كبير عليك .

- نعم اعرف ذلك .

- ولكن هل تاثيرها كبير عليك؟

- نعم هذا القول صحيح فلابد من شخص يروق لى افضى له بهمومى وعدنا إلى البيت بعد ان مشينا بعض الوقت وكان الجو عصرا لكنه كئيباً ولم نجد جريتا واخبرنى الخادم انها خرجت لتتمشى .

بعد ذلك ارسلت شيكاً بمبلغ كبير إلى امى لشراء بيت جديد

واثاث جديد إلا انها ردت هذا الشيك ممزق قطعتين وهى تقول فى خطابها :"لا اقبل هذا المال يا مايكل فانت لن تتغير ابدا فليساعدك الرب".

- وقلت اخاطب ليللى : تاملى ماذا صنعت امى بالشيك إنها ترفضه لأنه من نقودك الخاصة.

- لا تهتم يا مايكل .. فهناك البعض الذى لا يروق له ذلك .

- إذن ماذا تريد منى إننى ساظل هكذا لن اتغير فانا راشد .

- ولكنى احبك كما انت هكذا .

- ثم غيرت دفة الحوار وهى تقول : ما رايك فى الخادم الجديد .

- لم انتبه له وكنت اشعر نحوه بالراحة وقلت انه جيد لا غبار عليه.

- فقالت : اظن انه من رجال الشرطة .

- قلت : ماذا ؟ من رجال الشرطة ؟ ماذا تقصدين ؟

- قالت اقصد إنه مخبر سرى اعتقد ان العم اندرو قد بعث به لخدمتنا .

- لماذا ..؟

- لعله يخشى ان يختطفنى احد لا تنس انه كان هناك حرس خاص كان يلازمنى فى امريكا .

- هذه ضريبة المال .. إنها سخافات مزعجة .

- إنه إجراء روتينى تعودت عليه ولا عليك فلن يلاحظ احد شيئا.

- هل زوجته وراء ذلك ايضاً؟

- ربما فإنها طاهية ماهرة ولعله اندرو قد بعث بهما بعد أن طرد الخدام الآخرون دون أن نعرف.

- قلت : كيف يحدث ذلك واين نحن ..؟

- قالت .. لا يفكر احد فى إطلاعى على شىء خوفا من الرفقة ثم قالت وربما قد يكونوا على حق .

- قلت .. يا لك من فتاة ثرية مسكينة !

- قالت .. قد يكون ذلك أصدق تعبير عن حالتى .

- قلت .. إننى اكتشف فيك امرا جديدا

الفصل السابع عشر

اما النوم فقد كان عاصياً على جفونى حيث تنازعنى الخيالات والتصورات المرعبة والأفكار السخيفة وكلها تدور حول حياة ليللى المهددة بالأخطار دائماً . نعم كنت أخشى عليها من الاختطاف او الاعتداء عليها وسرعان ما هزمنى النوم وانتصر على ظنونى واستسلمت له فى سبات عميق حتى استيقظت وانا اشعر بالراحة رغم عناء الليلة وحدثت نفسى وانا اقول اليوم السابع عشر فى سبتمبر انه راسخاً فى اذهانى وسوف يكون يوم رائع .

كنت قد تواعدت مع الميجور فيليبوت على ضرورة مرافقتى لحضور مزاد بيع على بعد خمسة عشر ميلا من قريتنا لشراء بعض الأشياء منه والميجور فيليبوت خبيرا فى فنون شراء الأوانى الفضية والمفروشات رغم انه كان رياضيا لكنه دائم البحث عن معرفة الاشياء وقد تعلم افراد اسرته منه تلك الهواية .. اه نسيت كان الميجور قد امدنى بكتالوج يحتوى على الأشياء المعروضة للبيع داخل المزاد وتصفحته اثناء تناول وجبة الإفطار اما ليللى فقد استيقظت من نومها لترتدى ثياب الركوب لتمتطى جوادها كعادتها كل صباح وتناولت فنجاناً من القهوة إلى جانب كوب طازج من عصير البرتقال وهو برنامج تخضع له منذ ان كانت فى امريكا وهو يعد لها بمثابة وجبة إفطار .. اما أنا فحدث عن حالتى ولا حرج فلم اعد امسك على نفسى بعد تغيير حالتى المادية فصرت اهيم حباً فى تناول الأطباق الدسمة الساخنة اتناول منها ما يطيب لى بغير تردد . فكان طعامى فى الصباح

عبارة عن كلاوى محمرة وسجق وباكون .. إنها أكلة لذيذة بالطبع أما جريتا فقد مرت من أمامى وسألتها.. ماذا ستفعلين اليوم ...؟!

فأجابت أنها ستلتقى مع كلوديا كاسل فى محطة القطار لمشاهدة أوكازيونات المفروشات فى العاصمة فى لندن .. واتجهت بدورى إلى ليللى وأنا أقول ما دام أن جريتا سوف تذهب مع كلوديا إلى لندن فلماذا لا تأخذين سيارتك وتأتينا معنا لنتناول الغداء فى مطعم جورج بيارنتجون ؟ إن الطعام به لذيذ جدا كما أخبرنى الميجور فيليبوت ؟ هل يروق لك اللقاء فى الواحدة ظهرا .. إنه على مسافة تبعد نحو ثلاثة أميال بعد قريتنا .

- فأجابت ليللى .. حسنا سوف أحضر إليكما هناك .

- وساعدتها على القفز فوق ظهر جوادها .. كانت تعشق هذه الرياضة وانطلقت بين الأشجار والمنعطفات ومضيت أنا بالسيارة الكبيرة حتى يتسنى لها اللحاق بنا بالسيارة الصغيرة، وقصدت أنا الميجور فيليبوت حيث كان ينتظرنى داخل صالة المزاد وقد حجز لى مقعد بجواره وقد قال لى .

- توجد هنا لوحتان جميلتان واحدة من رسم الفنان رومنى والثانية للفنان رينولدز فهل يروق لك شراء إحداهما .

- هززت رأسى بالنفى مؤكدا له أننى أهتم برسومات الفنانين المعاصرين فقط .

- فقال : يوجد هنا بعض التجار الأثرياء ومنهم هذا الرجل النحيف كريستنجون التاجر المشهور .. أين زوجتك يا مايكل..؟

- فقلت : إنها لا تهوى حضور المزادات .

- فقال : لماذا ..؟

- قلت : لأننى أعتزم أن أفاجئها هل رأيت رقم ٤٢ ؟

- فألقى نظرة سريعة على الكتالوج ثم عاد يقول :

- أوه .. أتقصد هذا المكتب الصغير المصنوع من الورق المضغوط ؟

- نعم إنه مكتب فخم بل هو من أجمل المكاتب التى رأيتها اليوم إنه جوهرة ثمينة أما المكتب فقد كان غاية فى الروعة وقد حفر الصانع عليه رسماً لقصر وندسور .

- وعلى جوانبه باقات حلوة من الزهور ونباتات الزينة الجميلة .

- وأردف فيليبوت يقول .. إنه تحفة نادرة .. ما أروعه ؟ ولكن لماذا تهتم بشرائه فأجبت .. أنا لا أريده لنفسى ولكن زوجتى مشغوفة به وعيد ميلادها سوف يكون الأسبوع القادم وأعتزم أن يكون هدية إليها ولهذا السبب تعمدت ألا أخبرها بشأنه وسوف يكون مفاجأة كبيرة لها .

- ودق الجرس لتبدأ مراسم الزواج وارتفعت قيمة المكتب حيث تكالب عليه التجار واشتدت المنافسة بين تاجران مشهوران حضرا خصيصاً من لندن لشرائه وكان أحدهما بارعاً فى أسلوب الشراء .. واشتريت مقعداً منقوشاً إلى جانب بعض المفروشات والستائر الكبيرة المطرزة .

ونهض فيليبوت وهو يقول عقب انتهاء المزاد.

- يبدو انك سعدت - هل ستحضر بيع بعد فترة الظهيرة ؟

- فقلت .. كلا .. فلا يوجد شيء يستدعى وجودى لشرائه .

- كيف إن هنا أشياء جميلة تستحق البقاء ام إنك تنوى الانصراف للقاء زوجتك فى مطعم جورج .

- نعم هى فى انتظارنا .

- ومس جريتا .

- ذهبت جريتا مع كلوديا إلى لندن لمشاهدة اوكازيون عن البياضات .

- صحيح ذكرت كلوديا شيئاً من ذلك امامى .

- وانطلقنا إلى مطعم جورج وشاهدنا زحاماً من السيارات مرصوصة امامه وتفحصت السيارات ولم اجد سيارتها كانت الساعة لم تكن قد جاوزت الواحدة وجلسنا إلى إحدى الموائد نلتهم الطعام اللذيذ وقد فرغنا منه لتناول الحلوى ثم قلبت فجاة فى تردد .

- لماذا لم تحضر ايللى للآن .. هل حدث شيئاً..؟

- لعل من المناسب ان تتصل بها .

وتوجهت إلى كابينة التليفون وردت على مسز كارسون الخادمة .

- اوه .. اهذا انت يا مستر روجرز إن سيدتى ايللى لم تصل بعد .

- قلت .. ماذا تقصدين ..؟

- قالت .. اقصد انها لم تعد من نزهتها الصباحية .

- لكنها خرجت مبكرا ولا يمكن لها البقاء خارج البيت كل هذا الوقت .

- لم اعرف كيف اتصل بك .

- واعطيتها رقم تليفون المطعم لتتصل بى بمجرد وصولها ثم عدت إلى فيليبوت وقد لاحظ على ملامحى امارات الضيق والخبط وبادرته قائلاً:

- ان ايللى لم تعد من نزهتها حتى الآن وقد تاخرت على غير عادتها كثيرا .

- فقال فى عذوبة : لعل جوادها اصيب وقد تعود مشيا على الأقدام .

- فقلت .. لو كانت ذهبت لزيارة احد لاخبرتنى بذلك .

- وانصرفنا من داخل المطعم قاصدين اللحاق بسيارتنا فإذا بالرجل الذى شاهدته داخل المزاد يمضى على عجل . وقد عرفت انه ستانفورد لويد او ربما كان رجل قريب الشبه منه، تساءلت ما الذى اتى به إلى هنا ؟ هل جاء لزيارتنا وكيف يأتى قبل أن يخبرنا بقدومه. اما المراة التى كانت تجلس بجواره فى السيارة التى قفز فيها فقد كانت شبيهة بكلوديا كاسل ولكن كلوديا المفروض انها فى لندن مع جريتا لشراء المفروشات .. يا لها من صور غبية حمقاء وفى الطريق نظر فيليبوت نحوى مرة او مرتين والتقت عينى فى عينيه .

- فقلت .. قد يكون كعب قدمها قد التوى مرة اخرى اليس كذلك يا ميجور ..؟

- فقال : إنها فارسة ماهرة .. فلا داعى للقلق والخوف .

قلت .. إن احدا لا يستطيع ان يقاوم الحوادث المفاجئة .

وانطلقنا مسرعين وبلغنا الطريق المؤدى للسهل خلف البيت لنبحث عنها وسألنا احد الحطابين فقال :

- رأيت جوادا لا يمتطيه احد منذ ساعتين واردت الإمساك به ولكنه اسرع الخطى حين اقتربت منه . ولم يكن بصحبته احد .

فقال فيليبوت : الأفضل ان نذهب للبيت لتقصى الأخبار .

وذهبنا فى التو إلى المنزل ولم تكن به ية اخبار . واستدعيت الخادم وبعثت به إلى الأرض البور لتقصى حقائق الموقف . واتصل فيليبوت بيته فارسل رجلاً من هناك ليبحث بدوره هو الآخر ثم اتجهنا انا وهو نحو الغابة وهو الطريق الذى تسلكه ليللى دائما حتى بلغنا الأرض البور .. ثم وجدنا ملابس يتطايرها الهواء واسرعت نحوها ومن خلفى يجرى الميجور فى رشاقة لم اكن اتوقعها من كان فى مثل سنه .. وجدتها ليللى ممددة وثيابها تتطاير من حولها ووجهها الأبيض ينظر إلى السماء وتوقفت لا اريد التقدم نحوها من الخوف .

واتجه فيليبوت ليتفحصها وهو يصرخ .. يجب إحضار طبيب .. الدكتور شو إنه اقرب لنا من اى احد آخر ، إنها فى شدة الحاجة إليه

- قلت : هل تعنى انها توفيت ..؟!

- فقال : نعم .. لا داعى للإنكار .

- فقلت .. اوه يا إلهى .. إننى لا استطيع العيش بدونها .. ليللى حبيبتى ماتت واقبل الخادم فارسله فيليبوت إلى الدكتور شو .

الفصل الثامن عشر

- وعدت اتذكر كلمات المراة الغجرية الملعونة التى هددت هذه الفتاة المسكينة يا لها من فتاة عاشت مسكينة وماتت مسكينة .. رباه .. إننى اتعذب بدونها .. هل فعلتها هذه الغجرية الحمقاء من يكون إذن لقد سمعتها وهى تهددها كثيرا ماذا اصنع يا إلهى ؟ ماذا بوسعى أن افعل ؟ اين ذهبت يا ليلى ؟

وبدات جلسات التحقيق ولم يكن قد سبق لى حضور مثل هذه الجلسات من قبل . كان المحقق رجلاً قصير القامة ثرثارا وقمت بدورى لأثبت شخصية ليلى قبل ان أدلى بأقوالى، وذكرت له آخر مرة شاهدت فيها ليلى وانا اتناول طعام الإفطار وكيف ساعدتها على ركوب جوادها الرشيق وقلت له إنها كانت فى أحسن احوالها .

اما الدكتور شو فقد شهد بما راى حيث لم يكن بها اية جروح او كسور نتيجة وقوعها عن ظهر الجواد وأكد ان الموت كان سريعا عقب سقوطها عن الجواد بعد أن توقفت نبضات قلبها عن الخفقان إثر صدمة عصبية اصابتها والذى فهمته من كلام الدكتور شو أن المسكينة ماتت نتيجة اختناقها نظرا لصعوبة التنفس حيث إن جسدها كان سليماً إلى جانب اجهزة بطنها فقد كانت طبيعية وجاء دور جريتا للإدلاء بشهادتها حيث قالت إن ليلى كانت مريضة بالقلب منذ ثلاث سنوات مضت .

ثم تقدم الشهود الذين كانوا فى مسرح الحادث فى ذلك اليوم، وكان من بينهم هذا الرجل العجوز الحطاب الذى شاهد الجواد يسرع

بمفرده وكان قد رآها تمتطى الجواد وهى فى طريقها نحو التل ولم يشا ان يتحدث معها لكنه كان يعرف انها صاحبة القصر الجديد فساله المحقق .

- هل كنت تعرفها ؟

- كلا .. لكن اعرف جوادها جيدا فقد كان ملكاً لمستر كارى المقيم بشنتلجروم والمعروف عن هذا الجواد انه هادئ ولم يحدث ان هاج او ماج قبل ذلك .

- هل كان هائجاً حين رايته ؟ اقصد هل كان جامحاً على غير عادته ؟

- كلا .. فقد كان هادئا جدا وكان المناخ اكثر من رائع :
واضاف ان المكان كان خالياً من المارة لأن هناك طريق آخر يسلكه الناس لاختصار الوقت وقد شاهد فى ذلك الصباح رجلاً او رجلين يركب دراجة بخارية والآخر يمشى على قدميه وكانا بعيدين عنه بحيث لا يستطيع تحديد ملامحهما بدقة كما راى قبل ذلك بكثير السيدة العجوز مسز لى او هكذا تخيل وهى من عادتها السير على قدميها صباحاً ومساء فى هذا الطريق وهنا نهض المحقق متسائلاً لماذا لم تحضر مسز لى لكى تدلى باقوالها ولكن اثبتت التحريات انها غادرت القرية منذ ايام ولا احد يعرف عنها شيئاً وهى دائماً تفعل ذلك دون ان تخطر احد بمكان رحيلها وان غيابها شيئاً طبيعيا وعاد المحقق يسال الحطاب العجوز .

- هل انت واثق من رؤية المراة العجوز ..؟

- لا استطيع ان اجزم بذلك يا سيدى .. لست متاكدا فقد كانت امراة طويلة القامة ترتدى معطفاً قرمزى اللون كمعطف مسز لى ولكن لم اهتم بها فقد كنت منهمكاً فى عملى ربما تكون هى وربما غيرها لا استطيع ان اجزم بالضبط وعاد المحقق يسالنى عن اسئلة اخرى عن مسز لى.

- هل تعرف انت وزوجتك مسز لى ؟

- نعم معرفة جيدة .

- هل تجاذبت معها أطراف الحديث ؟

- نعم .. عدة مرات او بمعنى ادق هى التى كانت تتحدث الينا .

- هل قامت ذات مرة بتهديدك ان وزوجتك؟

- نعم ولكن لم يخطر على بالى ان اهتم بما تقول وتتوعد .

- ماذا ..؟!

- اعنى اننى كنت اظن انها تنطق كذباً .

- هل كان واضحا انها تحقد على زوجتك؟

- قالت زوجتى ذات مرة انها تشعر بأن لى تحقد عليها .

- هل حدث ان قمت بتهديدها او طردها من اراضيكما او اغلظتما معاملتها ؟

- كان ردا فقط على عدوانها علينا .

- هل ظننت انها مجنونة ؟

- نعم خامرنى إحساس بذلك فقد كانت تعتقد ان الأرض التى بنينا عليها بيتاً كانت ملكا لها ولأهلها من الغجر كانت تظن ذلك . وكانت شديدة القناعة بذلك.

- الم تحاول ان تعتدى على زوجتك ذات مرة..؟!

- كلا .. كانت محاولاتها شفهية فقط كالتهديد بما ينتظرنا من لعنة الغجر .

- هل ذكرت كلمة الموت امامكما ..؟!

- نعم .. ولم نعبأ بما كانت تقوله

- وزوجتك .. هل ازعجها ذلك القول ؟

- اخشى انها اقدمت على ذلك فإن العجوز كانت تثير فزعها وخوفها ولا اعتقد انها مسئولة عما كانت تنطق به .

وانتهت إجراءات التحقيق دون الوصول إلى نتيجة مؤكدة سوى ان الموت كان نتيجة حادث دون الاستناد على دليل وبرهان عمن تسبب فى وقوعه وتم تاجيل التحقيق لحين حضور مسز لى العجوز الغجرية .

الفصل التاسع عشر

فى اليوم التالى توجهت إلى حيث يقيم الميجور فيليبوت وقد سالته عما اجاب به الحطاب العجوز خاصة فيما يتعلق بالسيدة العجوز وقلت له :

- انت تعرف هذه السيدة جيدا فهل تتصور انها قادرة على ارتكاب هذه الجريمة ؟

- لا اظن ذلك يا مايكل فلا يوجد سبب قوى لارتكابها مثل هذه الجريمة المتعمدة خاصة وان زوجتك لم تتعرض لها .

- إذا كان ذلك كذلك فلماذا كانت تظهر لنا بهذه الصورة المخيفة لتهديدنا ومطالبتنا بمغادرة المكان .. لقد كانت تحقد علينا وهى لم تعرفها ابدا .

لم يكن بينهما شيئاً فى الماضى فإن ايللى كانت امريكية غريبة عليها .

- اعرف ذلك يا مايكل .. لكن هناك شيئا لا تفهمه يا مايكل .

- اعنى قبل زواجك من ايللى هل كانت تسكن بالقرب من هذا المكان ؟

- كلا .. كلا.. وانا متاكد من ذلك ولم يسبق لها المجيء للإقامة هنا فقد التقيت بها مصادفة ورحت اضحك فى نوبة هستريا لاحظها الرجل ورويت له قصة مجيئى إلى هنا ولقائى بها بعد ان قرات إعلان البيع .

- فعاد يقول كمحقق .. هل شعرت انها متشائمة..؟!

- كلا .. نعم .. كلا .. الواقع انها كانت خائفة وان شخصاً ما اراد ان يخيفها عن عمد وسوء قصد .

فبدا لى الميجور حائرا مما اقول وهو يتساءل من هذا الشخص ؟

- اعنى تلك الغجرية وإن كنت غير واثق من ذلك لكنها كانت تتعمد ان تهدد إيللى من لعنة هذا المكان ولابد لها من مغادرته فورا .

- فقال غاضباً .. معقول .. ليتنى علمت بذلك لو كنت قد علمت لذهبت إليها واوقفتها عن هذا العبث والهراء وهددتها بالطرد .

- وسالته انا بدورى .. لكن لماذا اقدمت على هذا ؟ ما السبب ؟

- اجاب فيليبوت .. إنها مولعة بإنذار الناس لإضفاء نوعا من الهيبة على نفسها وهى تهوى قراءة الطالع ليهتم الناس بها .

- قلت .. لنفرض أن هناك من عرض عليها ما لا وقد علمت انها تحب المال .

قال : نعم هى تحبه كثيرا ولكن من الذى أوعز إليها بذلك .

- قلت .. ضابط النقطة كينى

- هز راسه قليلاً وهو يقول .. ربما .. ربما

- واردف يقول .. لا اظن انها وراء الحادث .

- قلت .. لا اقصد انها تعمدت قتلها ولكن من الممكن ان تثير خوف الجواد وإثارته .

- قال : يبدو لى ان هذا احتمال بعيد جدا عن الواقع .

- قلت : هل حقاً كان هذا المكان ملكا لها فى يوم من الأيام ؟ اقصد الأرض ؟

- قال : كلا .. إن الغجر قد ابعدوا منها مرات عديدة .

- قلت : ولكن هل كانت تحقد عليها لسبب آخر .

- فقال مندهشاً : سبب اخر كيف ذلك ..؟

فكرت برهة وانا انظر إلى سقف الحجرة ثم قلت له :

- ما انطق به سوف يكون غريباً على سمعك.. فقد قال كين ان شخصاً ما دفع لها مبلغاً من المال لكى تفعل ذلك وهنا يتبادر إلى ذهنى ان شخصاً ما يرغب فى تخويف إيللى لمغادرة الأرض ثم يعاد طرحها للبيع ليستفيد منه شخصياً .. هذا رجل يريد الاستيلاء على ارضنا.

- فقال فيليبوت : هذا ظن معقول ولكنى لا ارى سببا منطقيا يدفع احد لذلك .

- قلت : ربما يوجد كنز فى الأرض لا يعرف عنه احد شيئا .

- قال : ربما اشك فى ذلك .

- قلت : كنز مدفون من سرقة احد البنوك.. انا اعرف ان كلامى سخيف .

- هز فيليبوت راسه وهو يشعر بالحيرة فقلت: إننى اقترح ان نعود خطوة للخلف فربما كان هناك شخص يقف خلف مسز لى وقد دفع لها مبلغاً من المال لإيذاء إيللى وهذا الشخص هو العدو اللدود لها .

- فقال : هل هناك احد تشك فى ارتكابه لهذا التصرف .

- قلت : كلا فهى لم تعرف احدا ولم تكن على صلة وثيقة بأحد فى هذا المكان ونهضت اقول .. آسف لإزعاجك .

- فنهض معى قائلاً : اتمنى ان اساعدك

وخرجت من الباب وانا اتحسس بأصابعى شيئاً كنت اضعه فى جيبى ثم التفت فجاة وعدت إلى الغرفة وانا اقول .

- هناك شيئاً اريده لك .. كنت ذاهباً الآن لكى اريه للضابط كين ودسست يدى فى جيبى واخرجت منه حجرا صغيرا مستديرا ملفوفاً فى قصاصة من ورق عليها كلمات مكتوبة بحروف مطبعية واردفت اقول له .

- هذا الحجر القاه شخص ما من خلال نافذة الطعام وقد حطم الزجاج وسبق لهذا الشخص ان صنع ذلك فى اول ليلة قدمنا فيها إلى المنزل ولا اعرف هل هو نفس الشخص الذى القى به هو نفسه الذى يقف وراء الحادث؟

- واخذت الورقة الملفوفة وناولته إياها .. كانت ورقة قذرة رثة المظهر كانت رسالة قصيرة تقول : "زوجتك قتلتها امراة" .

واحضر فيليبوت نظارته الطبية لقراءته وهو يقول .. اوه هذا عجيب ولكن اين الورقة التى القى بها فى المرة الأولى مع الحجر .

- لا استطيع ان اتذكر الآن ولكن كانت نصوصها عبارة عن إنذار لمغادرة المكان وكنت اظن انه عبث اطفال .

- هل تتوقع ان الذى القاها يعرفكما ..؟!

- إنه مجرد اتهام خبيث من مجهول لتشتيت افكارنا وإثارة حيرتنا.

- إنك على حق على الذهاب إلى الضابط كين فهو عليم بهذه الرسائل المجهولة اكثر منا نحن.

وذهبت إلى نقطة البوليس وارتسمت على ملامحه امارات السرور وقد قال :

- هناك اشياء عجيبة تحدث لنا هنا .

- قلت .. هل تظن ان هذه الرسالة تعنى لك شيئا

- قال : من المستحيل ان افهم منها شيئاً فلعل شخصا يريد تضليلنا وتوجيه اصابع الاتهام لامراة لغرض فى نفسه .

- قلت .. قد يقصد ان يشير بالاتهام إلى مسز لى العجوز .

- قال : كلا .. فهو يقصد امراة أخرى وهذا مؤكد .

قلت : وماذا عن المراة الغجرية ؟ هل عثرتم عليها ؟

هز راسه فى بطء وقال : إننا نعرف انها تغيب عن القرية كثيرا وانها تذهب إلى شرق إنجلترا وان لها اقارب هناك من الغجر لكنها ليست هناك كما تحققنا فلم يؤكد احد هناك رؤيتها لها فربما ذهبت إلى ابعد من ذلك .

- وقلت مستغرباً بعد كلامه: انا لا افهم شيئا .

- قال .. عليك ان تفهم انها علمت بمقتل زوجتك وهى تعرف انك ستشير باصابع الاتهام نحوها بسبب تهديداتها لكما وهو ما دفعها للاختباء وتتجنب الظهور فى الأماكن العامة .

- قلت .. ولكن يجب العثور عليها .

- قال .. بالطبع سوف نعثر عليها ولكن مثل هذه الأمور تتطلب وقتاً كبيرا

- ولكن هل تظن ان الأمر قد حدث هكذا ؟

- إننى اتساءل هل دفع لها احد مبلغاً من المال لكى تفعل ما فعلت ؟

- لو كان ذلك صحيحاً فسوف تغادر القرية

- لكن شخصاً اخر سيتولى القيام بذلك يجب ان نفكر فى هذا يا مستر روجرز قلت متنهدا، هل تقصد الشخص الذى دعمها بالمال ؟

- فقال : نعم اقصد ذلك .

- قلت : لنفرض ان هذا الشخص كان امراة .

- قال : لنفترض ان شخصاً آخر خطرت له نفس الفكرة وارسل لك هذه الرسالة، فلو ان الموضوع يتعلق بامراة فحتماً سوف يتملكها الخوف والرعب وستقول إنها لم تكن تقصد ذلك وسوف تقول إنها ارادت تخويفها فقط لإبعادها عن المكان .

- كلا .. لم تكن تهدف إلى موتها .. إنما كانت تهدف لإزعاجنا فقط لمغادرة المكان .

- و الآن من هو الذى سيسيطر عليه الخوف؟ هل المراة التى تسببت فى الحادث ؟ اعنى مسز لى؟ لهذا يجب العثور عليها لتقول لنا من الذى امدها بالمال لإخافة ايللى زوجتك ؟

- هل تقصد تلك المراة المجهولة التى فرضنا وجودها دون أن نعلم ان لها وجود حقا؟

- نعم فهناك شخص ما قام بتحريض مسز لى وهذا الشخص سواء كان رجلاً او امراة سيعمل على إسكاتها باسرع ما يمكن وهذا مؤكد .

-إذن انت تظن انها ماتت .

- اجاب الضابط كين .. هذا احتمال وارد بالطبع .

- ثم غير دفة الحديث فجاة وهو يقول : إنك تعرف تلك الخلوة يا مستر روجرز الموجودة وسط الغابة داخل اراضيك ؟

- فقلت .. نعم لقد كنا نقضى فيها بعض الأوقات انا وايللى ما شانها ؟

- قال .. حين قمنا بتحرياتنا فيها لم يكن بابها مغلقاً .

- قلت .. وماذا فى ذلك ؟ .. إننا نتعمد عدم إغلاقه حيث إن اثاثه لا قيمة له.

- قال .. تصورت ان مسز لى من المحتمل ان تستخدمه ولكننا فشلنا فى العثور على اى اثر لها وإن كنا قد عثرنا على هذا .

- وفتح درج مكتبه واخرج منها قداحة ذهبية صغيرة جميلة

الصنع يدل مظهرها على انها من تلك التى تستعملها النساء وعليها الحرف الأول من اسم صاحبتها (ك) . وبالطبع فهى ليست ملك لزوجتك اليس كذلك .. ؟!

- قلت : نعم فإن اسمها لا يبدا بحرف الكاف ثم انها لا تملك شيئا من هذا وجريتا ايضاً لا يبدا اسمها بحرف الكاف .

قال : لقد عثرنا عليها هناك داخل الخلوة وهى قداحة ثمينة كما ترى .

فكرت قليلاً ثم قلت .. ك .. ك .. لا ارى احدا يبدا اسمه بحرف الكاف سوى كورا زوجة ابيها ولكن من العسير ان تذهب إلى الغابة للوصول إلى تلك الخلوة . ومع ذلك فلم الاحظ انها قد استخدمتها امامى وربما تعرف مسز جريتا هذا اكثر منى .

- إذن لك ان تاخذها معك لتعرضها على مسز جريتا .

- حسناً سافعل ولكن كيف ذهبت كورا إلى هناك؟ اين وجدتها يا سيدى ؟

- كانت ملقاة على الأرض .

- نعم إلى جوار الأريكة، ولكن تذكرت هناك مسز كلوديا ولكن لا اظن انها تستطيع ان تمتلك مثل هذه القداحة الثمينة ثم لماذا ستحملها معها إلى هناك ..؟

- هل كلوديا صديقة زوجتك ..؟

- نعم وهى اعز صديقة لها .

- آه ..!

- نظرت إلى كين مستغرباً وانا اقول لعلك ظننت ان كلوديا كانت تحقد على ايللى . إن هذا شيئاً سخيفا لا اظنه .

- قال : اوافقك فى ان كلوديا لم تظهر عداوتها لايللى ولكنك لا تعرف ماهية النساء .

- قلت .. ربما واردفت اقول ثم امسكت عن الكلام فقال كين .

- نعم يا مستر روجرز ؟

- قلت .. اظن ان كلوديا كاسل كانت متزوجة من امريكى يدعى لويد وهذا اسم احد الأوصياء الذين يتولون الإشراف على ثروة زوجتى فى امريكا ولكن هناك فى امريكا آلافا بهذا الاسم .. اود انها مصادفة غريبة لو كان هو زوجها .

- قال : احتمال غير وارد .

- اكان غريباً اننى تخيلت رؤية لويد وكلوديا امام المطعم يوم الحادث .

- واردف كين يقول .. هل جاء ذات مرة لزيارتك ؟ - قلت .. رأيته امام المطعم يوم الحادث مع سيدة شبيهة بكلوديا ولكن لا اظن انها هى ثم الا تعرف ان اخاها هو الذى تولى بناء البيت ؟

- قال .. هل ابدت اهتماماً ما ببيتكما الجميل ..؟

- كلا .. هى لا تهتم بفنون المعمار .

- ونهضت وانا اقول : .. عفوا لإزعاجك فقد شغلت وقتك كثيرا حاول العثور على الغجرية .

- فقال .. لن تكف عن البحث عنها فالمحقق يريد استجوابها .

ودعته وغادرت نقطة البوليس ووقعت عينى على كلوديا تخرج من مكتب البريد وتوقف كل منا وقالت مرتبكة.

- إننى آسفة لموت ايللى : فلا املك ان اتحدث باكثر من هذا سوى اننى آسفة لموتها .

- قلت : اعرف انك كنت تحبينها وانا اشكرك لذلك .

- قالت : سمعت انك ذاهب إلى امريكا وانا ارغب فى ان اسالك .

- قلت : تفضلى فانا سوف اذهب بالفعل حالاً إلى هناك لإنهاء بعض الأمور .

- قالت : إذا كنت ستنوى بيع البيت بعد مجيئك من امريكا فمن الخير لك ان تبيعه الآن لى بحق الشفعة قبل مغادرتك إلى هناك .

- نظرت إليها منهولاً مما تقول وقلت لها:

- هل تهتمين بهذا الطراز لقد ظننت انك لا تبالى به ابدا .

- لقد قال لى رودلف إنه اجمل بيت شيده . ولكن اعرف انك ستبيعه بمبلغ باهظ لا املكه ولكنى ارغب فى شراءه .

- يا الهى ماذا تقول هذه المراة المجنونة .. لقد تجاهلت روعة بيتنا حين جاءت لزيارته وهززت رأسى.

- ظننت اننى سابيعه وهذا مستحيل فسوف اتمسك به وباراضى الغجر مهما حدث وعلى اية حال فإننى اود ان اعرف هل كان زوجك يدعى ستانفورد لويد ؟

نظرت فى فزع وحيرة وكأن صاعقة اصابتها وقالت :

- نعم .. ثم انصرفت بعيدا عنى .

الفصل العشرون

انقلبت بريطانيا على اثر سمعها بنبأ موت ليللى وهاهى دور الصحف تتوافد على بيتنا للاستفسار عن حقيقة موت ليللى اغنى فتاة فى العالم بل هناك آلاف من الخطابات والبرقيات تدعونى لأن اتحلى بالصبر وقد تولت جريتا الرد على هذا كله . اما المفاجأة الغريبة اننا علمنا ان اسرة ليللى لم تكن موجودة فى امريكا بل يقيمون معنا فى إنجلترا وبالذات مسز كورا وفى يوم الحادث كانت تبعد عنا نحو خمسون ميلاً فقط كانت مشغولة فى شراء بيت فى بريطانيا وقد التقت مع الوسطاء لشراء منزل جديد لها .

اما ستانفورد فقد استقل طائرة لحضور اجتماع فى لندن وقد علم مع كورا بموت ليللى من الصحف المحلية ودار نزاع سخيف حول مكان دفن ليللى وكنت قد تمسكت بدفنها فى نفس المكان الذى التقيت بها فيه ولكن اسرة ليللى كانت شديدة التمسك بدفن جثتها مع اجدادها فى امريكا . وجاءنى اندرولينكوت وهو يقول الم تترك وصية بدفنها فى مكان ما ؟

- فقلت فى حدة : ولماذا تترك وصية وكانت فى ريعان الصبا ؟ إنها لم تكن تتوقع ذلك ثم من يتوقع موته وهو فى الحادية والعشرون من العمر.

- فقال : هذا كلام منطقى لك كل الحق فيه ولكن لابد من مجيئك إلى امريكا فهناك مصالح هائلة تتطلب وجودك .

- قلت : ماذا تقصد ؟ وما شأنى انا بالأعمال ؟

- قال : كيف وانت الوريث الوحيد لها الآن؟

- قلت : هل تقصد اننى اقرب قريب لإيللى ؟

- قال .. طبقاً لبنود الوصية .

- قلت .. ولكننى لا اعرف شيئاً عن هذه الوصية؟

- قال : اوه .. لقد كانت إيللى سيدة اعمال ماهرة وحررت وصيتها بعد زواجها منك عند المحامى وارسلت لى صورة منها وتردد وهو يقول .. إذا جئت إلى امريكا فينبغى عليك ان توكل محامى معروف هناك بقضاء مصالحك .

- قلت : ولماذا ؟!

- قال .. حين تكون هناك سندات ومشروعات وعقارات واستثمارات يجب ان تطلع عليها لإنهاء مصالحك .

- قلت : ولكننى لست ماهرا فى مثل هذه الأمور المالية .

- قال : اتفهم ذلك .

- قلت : الا يمكنك تولى امورها ؟

- قال : حسناً انا على اتم الاستعداد لذلك .

- قلت .. اشكرك انت رجل طيب وكريم .

- ونظرا إلى متضايقاً وهو يقول .. هل تسمح لى بسؤال وسعدت بقوله وقد اجبته بنعم قال .

- كن حريصاً عند توقيع اى مستند يقدمه احد إليك بعد الآن .

- ولكننى لا افهم شيئاً من هذه المستندات ؟

- إذن الجأ إلى مشورة محاميك الخاص .

- هل تحذرنى من شخص ما ..؟

- قال قد يكون ولكن ينبغى عليك ان تكون حريصاً فى كل شىء فالثروة كبيرة جدا، كان يحذرنى بالفعل من شخص ما ولكنه رفض الإفصاح عن هويته ولا اعرف هل كان يحذرنى من كورا أم من لويد أم من العم فرانك؟ يا إلهى ما ابشع الثروات الكبيرة التى تكشف عن هوية الذئاب والثعالب .

وهنا قال مستر لينكوت قاطعاً حبل خيالاتى..

- الدنيا مليئة بالذئاب والثعالب .

- قلت .. لا اريد ان اعرف منك شيئاً .. هل هناك احد يستفيد من موت إيللى؟

- قال .. هذا سؤالى غريب لماذا تسأله؟

- قلت .. لا اعرف ولكننى افكر فيه .

- قال .. انت المستفيد الوحيد .

- قلت .. هذا معروف ولكن هل هناك احد غيرى؟

- قال .. نعم فقد اوصيت ببعض ثروتها لبعض الخدم الذين عملوا

معها واظن ان من بينهم مسز جريتا ولكن :كان نصيبها ضئيلا إلى جانب جمعيات خيرية اوصت لها وعلى اى حال كن حذرا فأصول ثروات ليللى كانت ضخمة جدا وهنا سيظهر لك بعض المنتفعين للاستفادة من موتها المفاجئ .

ذهبنا إلى كنيسة صغيرة لحضور قداس الجنازة وسط جمع غفير من الناس يتفحصوننى كوريث وحيد لها، ونجحت جريتا فى شق الطريق لى وسط هذه الجمهرة الغفيرة فأدركت مدى نفوذها وقوة شخصيتها .

كنت اعرف بعض الحاضرين من جيراننا فى البيت الجديد ثم وقع نظرى على رجل رأيته ذات مرة وانا كنت لا اتذكر من يكون بالتحديد وعدت إلى البيت عقب انتهاء مراسم الجنازة وقد اخبرنى الخادم بان شخصا ما يريد مقابلتى فقلت له أصرفه فانا مرهق بعض الشىء فعاد يقول : إنه قريبك، فصرخت اقول قريبى من هو فتناولت بطاقة تعارف مكتوب عليها ويليام ربادرو ثم قدمتها لجريتا وانا اقول :

- هل تعرفين من هذا ؟ إنه وجه مألوف لى ولكن لا اعرفه إنه على ما أظن انه احد اقارب ليللى .

- ثم قالت : طبعاً إنه الخال روبين .. هل حدثتك عنه ..؟!

- وذهبت إليه فى غرفة الاستقبال ونهض مستر روبارود واقفا وقال :

- مايكل روجرز ربما لا تعرفنى ولكن زوجتك كانت تدعونى بالخال روبين ولكننا لم نلتق فهذه اول مرة ازور فيها إنجلترا منذ زواجكما .

- فقلت : اعرف جيدا من تكون .

- كان روبين رجلا طويل القامة ضخم الجسم عريض المنكبين بشوش الوجه مستمع جيد وقد عاد يقول :

- لا اظن اننى بحاجة لكى اصف لك صدمتى من موت ليللى .

- قلت : دعنا من هذا فانا لا اريد ان اخوض فى هذا الامر ومع ذلك شعرت بالضيق وقلت امام جريتا التى اسرعت بالحضور .

- هل تعرف مس جريتا ..؟!

- قال : طبعاً .. كيف حالك يا جريتا؟

- قالت : خيراً . متى وصلت إلى إنجلترا ؟

- قال : منذ اسبوعين .

- قلت : إننى رأيتك قبل اليوم .. بل منذ ايام قليلة .

- قال : صحيح .. اين ؟

- قلت : فى صالة المزادات بيارتنجتون مانور .

- قال : تذكرت .. نعم .. نعم .. وكنت تجلس مع رجل له شارب اسمر خفيف .. وكنتما سعيدان للغاية .

- قلت .. كان اسعد ايام حياتى .

- قال : لم تكن قد عرفت بالحادث طبعا

- قلت .. توقعنا ان تلحق ليللى بنا لتناول الغداء .

- قال الخال روبين : يا لها من مأساة بشعة.

- قلت : نعم .. لم اكن اعلم بوجودك فى إنجلترا وكذلك إيللى ايضاً .

- قال: نعم فقد كنت منهمكا فى بعض الأعمال، ولم اشا القيام بزيارتكما.

- قلت .. هل جئت إلى إنجلترا فى زيارة عمل؟

- قال : جئت من اجل كورا فقد استدعتنى للمشورة فى شراء بيت جديد لها .

- قلت : لم نكن نعرف انها هنا ايضاً.

- قال: لقد كانت قريبة منكما.

- قلت : نزلت فى احد الفنادق ..؟

- قال : بل نزلت لدى إحدى صديقاتها .

- قلت .. لا اعرف لها صديقة فى هذا المكان.

- قال : لها صديقة .. اظن انها هارد كاسل .

- صرخت وانا اقول مفزوعاً تقول كلوديا هارد كاسل ..؟!

- قال: نعم، إنها صديقة كورا منذ زمن معيشتها فى أمريكا.

- قلت : إننى اعرف القليل عن شئون العائلة.

- والتفت إلى جريتا وانا اقول .. هل كنت تعرفين أن كلوديا

صديقة لكورا .

- اجابت جريتا .. لا اظن اننى سمعتها تتحدث عنها فربما كان هذا هو السبب فى أن كلوديا لم تات فى ذلك اليوم .

- قلت : بالطبع فقد كانت على موعد معك للذهاب إلى لندن .

- قالت : نعم ولكنها لم تات واتصلت بى هاتفيا قبل خروجى وقالت إن زائرة امريكية اقبلت فجاة إلى لندن وانها لا تستطيع مغادرة بيتها .

- قلت .. ولماذا لا تكون كورا هى الزائرة نفسها ..؟!

- قال روبين : هذا شىء واضح .. إن الأمر بدا مرتبكا وغامضا .. هل تم تاجيل التحقيق؟

- قلت : نعم .

- نهض واقفاً وهو يقول : الآن اود الانصراف وإذا اردت معاونتى فانا اقيم فى فندق ماجستيك بماركتيه شادويل وانصرف على الفور .

- وقالت جريتا : لماذا جاء هذا الرجل ولماذا أصر على لقاءك .. إننى لتمنى أن يعودوا جميعاً من حيث جاءوا إلينا.

الفصل الحادي والعشرون

وصلت إلى نيويورك وقد وصلتنى اخبار من كينجز بيشوب تؤكد عثور رجال البوليس على جثة مسز لى فى مكان مهجور طرف الجبل وكان موتها يعود إلى ايام مضت وعثروا على مبلغ مالى معها يصل إلى ثلاثمائة جنيهاً واضاف الميجور فيليبوت يقول فى برقيته لمنى ساعرف انك ستحزن إذا عرفت ان كلوديا قد وقعت من على ظهر الجواد وماتت على الفور".

يا إلهى كلوديا ماتت .. شعرت بالغثيان شخصان يموتان فى اسبوع واحد بطريقة غامضة وكانها مصادفة والثالثة ماتت اعنى الغجرية العجوز .. وعدت اتذكر إيللى التى جاءت من اسرة غنية جدا إلى انجلترا وكانها جاءت من اجلى فقط لكى تهبنى ثروتها ، تذكرتها وهى تغنى على قيثارتها فى رقة وعذوبة .

كل صباح وكل ليل

يولد البعض للسعادة والهناء

قلت : كان هذا صحيح بالنسبة لك اننى يا إيللى فقد ولدت للسعادة وللهناء لكن سعادتك كانت قصيرة وانتهت بسرعة غريبة وعدت هنا حيث لا سعادة ولا هناء . لكنك عدت إلى اهلك واجدادك وعشيرتك عدت إلى موطنك إلى منيتك إلى اصلك .. وعلى غير العادة رحت اتساءل .. اين سيدفنونى حين اموت ؟ هل فى اراضى الغجر ؟ هذا جائز وسوف تاتى لتلقى النظرة الأخيرة على جثمانى هذا إن لم تمت

قبلى نعم ستاتى وترانى وانا اوارى التراب وطردت شبح أمى من خيالى فقد كنت ابغضها لصراحتها وشدتها ولهفتها على اخبارى .. لقد كانت تثير حفيظتى بكلامها الساخن دائماً وفكرت فى وجهها وكانه وجه إنسان امقته لا اعرف لماذا رغم اننى لم اقدم لها شيئاً يسعدها فهى كانت تفتقد السعادة دائماً وعدت اطردها من خيالى مرة اخرى .

المهم .. بقيت فى امريكا وقتاً طويلاً لا اذكر كم يكون ولكن عذبتنى نظرات الناس كوريث وحيد للراحلة إيللى واقترب منى البعض تملقاً وتزلفاً فقد صرت رجل واسع الثراء ولا حيلة لى فى ذلك، كنت املك استثمارات كثيرة وسندات هائلة وعقارات واصول ومحلات تجارية مختلفة لك اكن اعرف عنها شيئا ابدا وقررت مغادرة امريكا، حيث سئمت وجوه الأمريكيين ومعاملتهم . وتحدثت فى اليوم السابق لسفرى إلى لندن مع مستر ليبنكوت حديثا طويلاً وكنت اناديه بمستر ليبنكوت ولم اناديه بالعم فرانك .

اخبرته اننى انوى سحب جميع استثماراتى من مستر ستانفورد لويد فرفع حاجبيه وهو يقول فى دهشة :

- احقاً ستفعل ذلك ..؟!

واستغربت لسؤاله وانا اقول : هل تعتقد ان من الحكمة ان افعل ذلك ؟!

- فقال : قد يكون لديك اسباب لذلك ؟

- قلت : كلا لا توجد عندى اسباب ولكنه إحساس داخلى فقط واظن اننى سارحل بما فى نفسى وارجو ان يكون ذلك سرا بيننا .

- قال : إن ما ستقوله سرا دفيناً تأكد من ذلك .

- قلت : عندى خاطر يقول إنه نصاب .

- فابدى العم فرانك اهتماماً بالغاً وهو يقول نعم اشاركك هذا الإحساس :

- وقلت .. بعد ان وقعت على تفويض .. هل تقبله هذا التفويض .

- قال .. لك ان تثق فى فسوف اسهر على شئون ثروتك بكل إخلاص .

- ولكن اين ستقيم فى إنجلترا ..؟

كنت شاردا افكر فى امر العم فرانك، وهل سيكون امينا كما يقول ام لا؟

- وتنبهت لسؤاله وانا اجيب .

- ساقيم فى اراضى الغجر .

- هل تنوى الإقامة هناك؟

- نعم ارغب فى البقاء هناك.

- ظننت انك ستعرضه للبيع .

- كلا .. قلتها بحدة وتحدى .

- هل هناك من يرعى شئونه اثناء سفرك ؟

- تركته فى رعاية جريتا اندرسون .

- آه .. نعم جريتا .. قالها بطريقة تدل على كراهيته لها والواقع اننى لم اعبأ بذلك . وساد الصمت بيننا ثم قطعته قائلاً :

- إنها شخصية جديرة بالاحترام .. ساعدت إيللى كثيرا فى حياتها وفى مرضها . وكانت إيللى تعشقها والحق انها مخلصة وامينة .

- نعم .. نعم .. اتفهم موقفك فهى فتاة جيدة .

- ونهضت من مكانى حتى بادرنى قائلاً : لقد كتبت لك رسالة ستصلك قبل ان تذهب إلى لندن

واردف يقول .. اتمنى لك رحلة سعيدة .

- وحين عدت إلى الفندق وجدت برقية فى انتظارى تطلب منى الذهاب إلى مستشفى بكاليفورنيا يخبروننى فيها أن صديقى المهندس سانتونيكس يرغب فى رؤيتى قبل ان يموت . وغيرت موعد سفرى على الطائرة وحجزت مكاناً فى الباخرة .

وتوجهت بطائرة داخلية إلى المستشفى لزيارة صديقى وقد كان يدنو من الموت ورأيته شاحب الوجه لا يستطيع الكلام قالوا إنه تمنى ان يقول لك شيئاً كان شبح الموت بادياً على وجهه الأصفر وانتحيت بالمرضة قائلا:

- هل يمكن لى ان اقدم شيئاً لمساعدته؟ اجابت كلا فقد يعود إلى رشده او لا يعود .

- وجلست امامه ثم تحرك فجاة وقد قال لى فى حدة:

- انت ايها الاحمق الجاهل .. لماذا لم تسلك الطريق الآخر..؟!

ثم فاضت روحه دون ان يوضح لى ما يريد .

الفصل الثانى والعشرون

ماذا يحدث لى يا إلهى .. إن كل من كانوا حولى يتساقطون ماذا ينتظرنى ؟ وماذا كانت تعنى كلمات صديقى المهندس .. على اية حال ينبغى ان أعود إلى بيتى فى أراضى الغجر وتذكرت احداث لقائى مع إيللى بين أشجار الشوح وفى احد المطاعم وعند أحد المحامين لتوثيق زواجنا يالها من ذكريات جميلة .. كم تمنيت ان تدوم للأبد ولكنه هادم اللذات قد حرمنى منها .

قبل مغادرتى نيويورك أرسلت برقية إلى الميجور فيليبوت انه يفهمنى بسهولة عن اى احد .. فقد كان يعرف قوة العلاقة بين إيللى وجريتا ولاحظ اعتماد إيللى على جريتا وخطر له اننى ساحذو حذو إيللى .. كتبت إليه اقول :

- "اريد ان تكون انت اول من يعرف فقد كنت كريما معى واظن انك انت الوحيد الذى تتفهم موقفى إننى لا أستطيع الإقامة وحدى فى أراضى الغجر واستقرت نيتى على الزواج من جريتا بمجرد عودتى واظن انها سترفضنى ولكنى ارى انها -يجب عليك الرضوخ لهذه الرغبة فى نهاية المطاف حتى اشعر وكأن إيللى لم تبعد عنى". كتبت الرسالة عدة مرات وبعثت بها بعد ان راق لى ما عبرت عنه، ثم توجهت نحو الباخرة وانا اقول ليت سانتونيكس كان حيا الآن كى يرانى وانا اغادر هذه البلاد السخيفة بلاد اللصوص والنصابين والدهماء .. نعم كنت اكرههم كما يكرهوننى فانا عائد إلى بلادى الجميلة باكاليل النصر عائد إلى الغابات وأراضى الغجر وأشجار الشوح والطرق الملتوية الخطيرة عائدا إلى بيتى الذى حلمت به كثيرا وتمنيت من أعماق القلب ان ارى امرأة رائعة جميلة ثرية مثل إيللى وحدث ما حلمت به .

-ونزلت من محطة القطار داخل قريتنا ودلفت إلى منزلى دون ان يرانى احد كان الليل قد أسدل ستاره وها انا اتذكر الخدعة التى

منلتها فى البداية نعم فقد تظاهرت بالكراهية نحو جريتا وانطلت على الجميع وتذكرت الشجار الذى دب بيننا وسمعت ليلى صراخنا .

الحقيقة اننى التقيت مع جريتا فى هامبورج وكانت شديدة الطموح مثلى .. تريد ان تطوف العالم وتصبح اميرة لها نفس افكارى وخيالاتى واحلامى وقالت فى هذا اللقاء :

- لكى تحصل على كل ما تريد من الحياة يجب وجود المال .

- قلت لها اعرف ذلك .. ولكن كيف احصل عليه .

- فقالت : ليس عن طريق العمل الشاق فمثلك لا يحب العمل .

قلت : كيف إننى صغير السن ويجب ان اعمل واكد واشقى من اجل إحراز ثروة كبيرة تساعدنى على تحقيق احلامى .

- فقالت : اوافقك ولكن هناك وسيلة اخرى لجمع المال بسهولة ويسر ويدهشنى انك لم تفكر فيها فانت فتى جذاب وسيم .

- قلت .. انا لا اهتم باى فتاة سواك يا جريتا فانا احبك منذ ان رايتك .

- قالت : نعم وانا احبك ايضاً .. ولكن يمكنك الزواج من فتاة غنية هى اغنى فتاة فى العالم ويمكن لى ان ادبر لك هذا الأمر .

- قلت : لا تكونى حمقاء .

- قالت: كلا .. انا لست حمقاء هو امر سهل يسير .

- قلت : هذا لا يروق لى وهذا لا يناسبنى فانا لا احب ان اعيش عالة على احد .

قالت : لن تكون عبدا لها فهذا لن يطول بحال من الأحوال .

- فحدقت فيها منهولاً .

- فقالت : صدمت شعورك ؟!

- قلت: كلا.

- قالت .. إننى اود مساعدتك فى الزواج من اغنى فتاة فى العالم .. إننى مسئولة عنها .

- فقلت : هل تظنين انها ستبادلنى الحب .

- قالت .. انت شاب وسيم جذاب تدير راس الفتيات بسهولة وهى ليست لها تجارب حيث إن اهلها يفرضون عليها حصارا حديديا خوفا من وقوعها فى يد احد الأفاقين وسوف تنفتح لك بسهولة .

قلت : احاول .

- قالت .. دع لى هذا الأمر .

- قال : اخشى من اسرتها .

- قال : سيعرفون بعد زواجك منها سرا

- قلت : إذن هى فكرتك ..

وبحثنا فى الأمر بعناية فائقة ودبرنا الخطة المحكمة فى إطار دقيق حيث تظاهرت امام ليلى اننى غير مفتون بالشقراوات بينما كانت الحقيقة اننى كنت مفتوناً بانوثة جريتا وجمالها الطاغى الذى لم ار له مثيلاً فقد كنت ارى انها اجمل فتاة فى الدنيا، ما اسعدنى فانا احب اجمل فتاة فى العالم واتزوج باغنى فتاة فى العالم باسره.. يا لى من محظوظ .. ما اروع ذلك.. ثم دبرنا انا وجريتا بدايات لقائى مع ليلى واسرعنا فى إتمام الزواج كما خططنا انا وجريتا قدمتنى ليلى لجريتا فى الفندق وتظاهرت بعدم معرفتى لها وإلى جانب عدم اكتراثى بجمالها الفتان ثم كنت بارعاً فى إظهار الغيرة من جريتا وانطلت هذه الحيلة على المسكينة ليلى التى لم تكن تعرف اننى مخادع

ومحتال ونصاب وآفاق ثم اننى كنت امثل ببراعة الم اقل لكم فى البداية اننى ممثل قدير وبارع وما انا ارى ليللى تطل من بين اشجار الشوح بعيونها تلاحق جسدى لكنها لا تنظر نحوى .. إنها تهتم بعيونى .. انا اعرف لماذا ولكن ما هذه القشعريرة التى اصابت جسدى ما هذا الفزع لماذا تسمرت هكذا فى مكانى وكأن ليللى استوقفتنى.. وانطلقت فزعاً وخوفاً من شبح ليللى وعدت إلى بيتى إلى حلمى إلى الفتاة التى تنتظرنى إلى جريتا فاتنة الجمال والأنوثة إنها امراة رائعة جميلة مثيرة وسوف نتزوج ونقيم فى البيت فقد حصلنا على كل ما نحلم به وهاهو قد تحقق بسهولة ويسر دون عناء . ودخلت إلى غرفة المكتب، كانت جريتا تنتظرنى .. ياه .. كانت رائعة فاتنة حقاً .. بل كانت اجمل فتاة شاهدتها فى حياتى كانت تفيض انوثة ورشاقة كنت مشتاقاً إليها واتوق إلى حنانها وارتميت فى احضانها وكانت اجمل لحظة فى حياتى على الإطلاق .

وراحت تفض امامى الرسائل التى وصلتنى وهاهى رسالة العم فرانك قد سبقتنى كما تعهد هو بذلك وتساءلت ماذا كتب فيها ؟!

فاجابت جريتا وهى تشهق فى سرور بالغ .

- حسناً لقد نجحنا .

فصرخت : إذن النصر لنا

- وضحكنا معاً وتناولنا شرابنا ونحن سعداء بتناول الضحكات والنوادر .

وتوقفت عن الضحك وانا اقول ما اروع هذا المكان إن سانتونيكس قد مات .

- فقالت جريتا .. اوه هذا شىء قد احزننى .

- ولكن كيف عرفت .

- قلت : قمت بزيارته فى المستشفى قبل ان يلفظ انفاسه .

- وهل قال لك شيئاً يا مايكل ..؟!

- نعم قال انت ملعون . لماذا لم تسلك الطريق الآخر ..؟!

- وماذا يقصد بالطريق الآخر ..؟!

- اظن انه كان فى حالة هذيان .

- قالت جريتا : هذا البيت يعد ذكرى حلوة لهذا الرجل .. ولكن هل سنظل هنا ..؟

- قلت .. بالطبع سوف اعيش هنا مهما حدث .

- قالت : لكننى احب السفر اريد ان اذهب إلى اليونان وجنوب افريقيا ومصر ولبنان واليابان وجزر هاواى وغيرها من هذه الأماكن .

- قلت .. نعم سنفعل ذلك ولكن علينا ان نعود للإقامة هنا فانا اشعر بالحب لهذا البيت ولن اتركه إلا وانا راحل عن هذه الدنيا .

بدات اشعر بالانزعاج فقد كنت اريد البيت وجريتا معاً والآن قد فزت بالبيت اما جريتا فقد بدات تتغير ولها مطالب يا لها من فتاة حمقاء .

- وهنا سالتنى جريتا .

- مايك ماذا بك يا حبيبى ؟ اراك ترتعش هلى اصابتك نزلة برد..؟!

- كلا لا اشعر بذلك .

- إذن ماذا حدث لك يا مايك ..؟!

- لقد رايت ليللى .

- ماذا تقصد ..؟!

- حين وصلت لنهاية الطريق وانعطفت مع المنحنى فوجدتها واقفة بين اشجار الشوح .

- لا تكن احمقا يا مايكل فهذه خيالات واوهام .

- ربما يتخيل المرء اشياء مهما يكن فنحن فى اراضى الغجر .. كانت ليللى واقفة كانت تبدو سعيدة.. نعم سعيدة كما لو كانت ملاكا.

- امسكتنى جريتا من ذراعى وقد هزتنى بعنف وهى تقول .. مايك لا تتكلم هكذا .. إنك مخمور يبدو انك أفرطت فى الشراب.

- كلا لم اتناول شرابا، فقد انتظرتك حتى اتناول معك.

- حسناً يا مايكل فلتنس ليللى ولنشرب معاً بكل سعادة .

- واردفت تقول : لا توهم نفسك بايللى .

- كلا .. بل هى ليللى نفسها .. ليللى نفسها ولم تنظر نحوى .. لم يكن بوسعها ان ترانى .. وكيف ترانى ولماذا ترانى ؟ لكننى اعرف .. لماذا لم تشا ان ترانى ؟ اعرف ذلك .. اعرف ذلك .. وقد ارتفع صوتى .

- قالت جريتا .. ماذا تقصد يا مايك..؟!

- قلت .. اقصد انها عاشت ليلاً طويلاً .. اه .. إنها كانت هنا تعزف على القيثارة وهى تغنى كل صبح وكل ليل يولد رجال للسعادة والهناء.. كل صبح وكل ليل يولد بعضهم للشقاء .. لقد ولدت هى للسعادة والهناء .. اما انا فقد ولدت للشقاء والتعاسة كانت امى تعرف اننى اسلك نحو الشر وهكذا سانتونيكس فقد كان يعرف اننى اسلك طريق الأشرار .. كان فى مقدورى ان اعيش سعيدا مع ليللى .

فقالت جريتا : كلا .. لا تستطيع ان تفعل ذلك ما كان فى مقدورك ثم إنك لست من هؤلاء الرجال الضعفاء .. وهزتنى بعنف وهى تقول دعك من هذه الأوهام يا مايكل كن واقعياً.

- يبدو لى انك مرهق من عناء السفر وعليك ان تتحلى بالهدوء فانت فى حاجة إلى كثير من الراحة.. ولكن هل كل شىء فى امريكا على ما يرام .

- قلت : وسوف يكون مستقبلنا على ما يرام فهو قد أصبح مضمون .

- ولكن ماذا يقول العم فرانك فى رسالته لأننا نسينا أن نقراها .

- وفتحت الرسالة ولم اجد بها شيئا هاما إلا صورة قديمة جمعتنى انا وجريتا فى هامبورج ولا اعرف من اين اتى بها إذن فقد اكتشف هذا الرجل امرنا ؟ وادرك اننى قتلت ليللى .. رباه .. ما هذا ايها الملعون فرانك من المجنون الذى بعث لك بهذه الصورة يا إلهى .. هل علم بامرنا إنه الآن يشك ان لم يكن قد تاكد أننا قتلة وإلا لماذا بعث بها عن طريق البريد اللعنة عليك يا فرانك .. جريتا اسمعينى جيدا .. إن فرانك هذا يبغضك بشدة وقد سالنى منذ متى اعرفك فانكرت له سابق معرفتى بك وهو ثعلب عجوز وسوف يتاكد من قتل ليللى على ايدينا إذا انا تزوجت منك الآن .

فقالت جريتا : مايكل تماسك تحلى بالقوة اراك خائف ترتعد .

- قلت : لا داعى لهذه النصائح .

- قالت : كلا إننى اقول الحقيقة .

- قلت : ليل طويل لا ينتهى يا الهى.

- شعور غريب تملكنى كاننى اعيش فى ليل طويل لا ينتهى

ابدا ارى الموتى فيه فقط اما الأحياء فلا ارى احدا منهم بل وهم ايضا لا يرونى مع اننى حى .

لقد دخلت فى جوف الليل وانه لظلام دامس متى سينبلج الصبح متى سارى خيوط النهار اين انت ايها الضوء ؟ اين اشعة النهار ؟ ايها الليل الطويل الا تنتهى وتنجلى عنى وترحمنى .

- عادت جريتا تقول : اوه يا مايكل تماسك يا عزيزى كن رجلا قويا .

- قلت : ليس بمقدورى ذلك يا جريتا فقد بحت نفسى لأراضى الغجر التى كانت آمنة لإيللى .. ولم تكن كذلك لأى احد وانت ايضاً ليست آمنة لك .

وتقدمت نحوها بضعة خطوات .. الواقع اننى كنت أحبها حبا جنونياً فهى جميلة مثيرة فاتنة ولكن لماذا كرهت ايللى لماذا قتلتها ..؟! ولكننى اكره جريتا الآن من أعماق القلب وصرخت فى وجهها .

- ايتها العاهرة القذرة .. ايتها العاهرة الملعونة ايتها الشقراء .. إنك لست فى امان يا جريتا .. لست فى امان معى .. هل تفهمين ؟ إننى قاتل سفاح قتلت قبل ايللى وساقتل بعدها .. لقد كنت مستمتعا وهى ذاهبة إلى الموت كنت سعيدا بل سعيدا جدا صحيح لم اقتلها بيدى لكنى قتلتها وسوف اقتل غيرها إلى ان اموت ما اسهل اقراص السم فى الشراب أو الطعام كلا .. بل اريد أن استخدم يدى .. وهنا استولى الخوف والرعب على قلب جريتا إننى كنت احبها منذ ان التقيت بها فى هامبورج وقد تظاهرت بالمرض للبقاء معها وتم فصلى من الشركة التى اعمل بها .. لكنى ابغضها الآن فلم اعد لها لقد عدت لصوابى وانتقلت إلى عالم آخر غير هذا الذى حلمنا به طويلا .

تلذذت برؤية خوفها وقد اطبقت بيدى على عنقها وانا اشعر بسعادة بالغة نعم كنت سعيدا وانا اقتلها بل سعيد جدا .

الفصل الأخير

ماتت جريتا مخنوقة وظللت ارتشف من الكاس وهى ممددة امامى فتذكرت الميجور فيليبوت وقد شعرت بحب شديد نحو هذا الرجل الذى يدخر جهوده لغيره .. وكنت خائفا هل سيلاحظ اننى قتلت ايللى ولماذا اتساءل الآن ؟

إن كل شىء امامى بات فارغاً خاويا من اى مضمون ورحت اتساءل ما الذى سيحدث الآن ؟ او بعد الآن ؟ ليتنى سمعت كلامك يا سانتونيكس.. بعد فترة لاحظت ان الدكتور شو يقف امامى وقد اخبرته اننى قتلت جريتا يجب ان تنقلوا الجثة ووجدت البيت مزدحما فلم يكن الدكتور شو بمفرده بل الجيران كل الجيران هنا يا الهى ثم اقتربت من الدكتور شو وانا اقول له هامسا .. لقد رايت ايللى الليلة فاجاب .. صحيح .. اين ..؟

- هنا منذ ساعات تقف بين اشجار الشوح لكنها لم ترانى لاننى لم اكن موجودا ولهذا فانا قلق وخائف جدا .

- وهنا قال الدكتور شو .. هل وضعت سم السيانور فى ذلك القرص المنوم الذى اعطيته لإيللى صباح موتها .

- قلت : كان هذا من اجل الحساسية التى كانت تشكو منها .

- قال : لقد كنت ذكياً ولكن ليس ذكاء خارقا.

- قلت : هل اكتشف احد امرى سواك ..؟

- قال : نعم الجميع هنا فقد ماتت كلوديا بنفس السم وبنفس الطريقة وفى نفس المكان ولولا اكتشاف امرها بعد ساعتين من وفاتها حيث فاحت رائحة السم فى الهواء لما اكتشف احد امرك .

قلت : يبدو اننا كنا فى غاية الإهمال انا وجريتا الملعونة .

قال : نعم .. وقد تجلى وجه الحقيقة الآن وإن كنا قد عرفنا بانك القاتل منذ هذا التاريخ اعنى تاريخ مقتل كلوديا التى كشفت لنا النقاب عن مقتل ليللى الغامض .

- قلت : إذن عليك ان تلقى القبض علىّ
- قال : لست من رجال البوليس .
- قلت : فمن تكون إذن ..؟!
- فقال : انا طبيب .
- قلت : ولكنى لا احتاج إلى طبيب .
- قال .. هذا امر يحتاج إلى نظر .

- فنظرت إلى فيليبوت وانا اقول لماذا جئت ؟ هل جئت لمحاكمتى؟

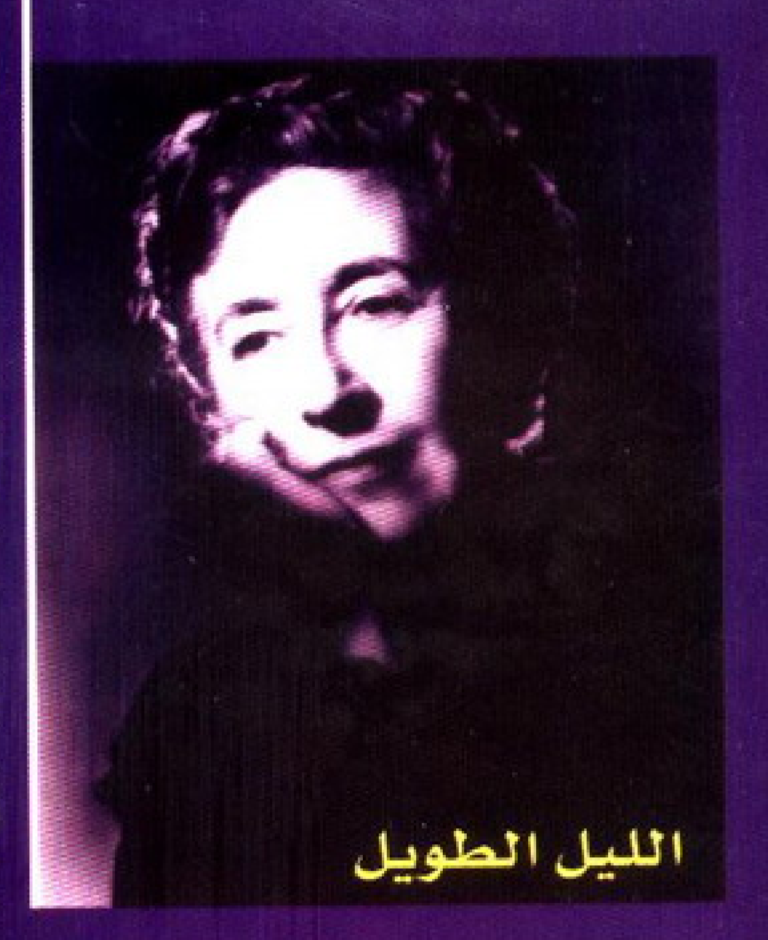
- فقال : انا قاض صديق لك محب للسلام .
- قلت : صديق لى ..
- قال : بل صديق لايللى .

- لم افهم لماذا حضر كل هؤلاء عندى البوليس والأطباء والجيران بدات افقد حساب الزمن لم افهم ماذا يجرى من حولى لقد خارت اعصابى وتاه عقلى واحتار فكرى ماذا جرى ؟ ماذا حدث ؟

ثم لماذا يمطروننى هكذا بعشرات الأسئلة ولماذا امتنعت عن الرد عليهم ؟ وحين سالنى احدهم .. هل تريد شيئاً .. قلت : اريد قلما وورقا كى اسجل كل شىء حدث منذ البداية وقلت لرجال البوليس انتم تسالون الشهود لماذا إذن لا تسالونى انا ايضاً فانا ساكتب لكم قصتى منذ بدايتها . ياالهى ما هذا إن البوليس قد احضر امى لرؤيتى وهاهى تنظر لى فى اسى وهى تقول تمنيت كثيرا مساعدتك فقلت لها .. لا تندمى يا امى فانا المسئول عن اختيار هذا الطريق الشائن .

وهاهو المهندس العبقرى سانتونيكس قد طاف بخيالى وهو يحذرنى ولكننى لم اعبا بما ردده كثيرا، ولماذا فإن احلامى فاقت كل حد ثم إننى مازلت احب ليللى التى لن اراها ابدا اما جريتا فقد لعنت اللحظة التى التقيت معها فيها واننى اكتب هذه المذكرات وانا نادم على اننى فقدت هذا الملاك الرفيق اعنى زوجتى ليللى .. ليتنى لم اعرفها .. لم احبها .. لم اتزوجها .. إننى اتمنى ان اموت الآن .. الآن فقط كما يقول اهل الصين .. فانا لا استحق البقاء كما لا استحق العيش بدون ليللى لحظة واحدة .. إننى احببتها من مكنونات القلب كما كرهت جريتا من الأعماق ولكن لين انت يا ليللى سامحينى ياملاكى.. سامحينى يا حبيبتى فلو حاكمونى وبعد موتى لعدمت نفس من اجل اللحاق بك نعم اتشوق إليك يا ليللى .. بل اتحرق شوقاً إلى حمل خصلة من خصلات شعرك إلى اناملك إلى صوتك الهامس إلى قيثارتك إلى شدوك الجميل ولكن ما هذا الليل الطويل وإلى متى سيظل هكذا وقد القى سدوله على نفسى هكذا ايها الليل الطويل .. متى سترحل؟.

AGATHA CHRISTIE



الليل الطويل



أكثر
الروايات
مبيعا
فى العالم